التَّمَسُّكُ بالسُّنَن
والتحذير من البدع

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
(٦٧٣- ٧٤٨هـ)

تحقيق ودراسة

د. محمد باكريم محمد باعبد الله
الأستاذ المساعد في قسم العقيدة
بكلية الدعوة وأصول الدين
في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الإتباع، والابتداع، أمران لهما أثرهما في صحة عقيدة المرء أو فسادها، وفي قبول العمل أو رده.

وقد أمرنا الله عز وجل باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعل ذلك آية محبته فقال عز وجل: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}**[١]، وقال: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}**[٢].

وأوصى نبيُّنا صلى الله عليه وسلم أمته باتباع سنته وسنة الخلفاء المهديين من بعده فقال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" [٣].

فأرشد صلى الله عليه وسلم أمته إلى سبيل نجاتها عند وقوع الاختلاف، وهو الإتباع والتمسك بالسنن، وحذرها من الضلالة والبدعة والإحداث في الدين.

والنصوص في هذا المعنى كثيرة متضافرة، في الكتاب، والسنة، وأقوال السلف، من الصحابة، والتابعين، وأئمة السلف في كل عصر.

ولا يزال أهل الحق والسنة، من علماء هذه الأمة، يدعون إلى ما دعا الله عز وجل إليه في كتابه، وإلى ما دعا إليه رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوالهم في ذلك مدونة مسطورة، وآثارهم مشهورة، في سيرهم وأخبارهم، ولبعضهم مؤلفات خاصة في ذلك.

ولقد وقفت على مؤلف لطيف في هذا الشأن، لإمام من أئمة أهل السنة والإتباع، ذلكم هو الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي رحمه الله.

وما إن انتهيت من مطالعته وقراءته، حتى عزمت على إخراجه، لما حواه مع لطافته وصغر حجمه، من فوائد عزيزة ، وتأصيلات في هذا الشأن مفيدة، صاغها الإمام الذهبي رحمه الله بأسلوب مميز فريد، تلمس فيه صدق النصح لهذه الأمة، والحرص على هداية من انحرفت به السبل منها، في رفق ولين، مع غيرة على السنة والدين.

ولئن كانت النسخة التي وقفت عليها خلت من ذكر اسم هذا المؤلّف وعنوانه، إلا أن موضوعه، يدور حول الإتباع والتحذير من الابتداع، مما جعلني أرجح أن يكون هو كتاب "التمسك بالسنن " الذي ورد ذكره ضمن مؤلفات الإمام الذهبي[٤].

وقد جعلت العمل فيه في قسمين:

القسم الأول: دراسة عن المؤلف، والكتاب، في تمهيد ضم فصلين.

الفصل الأول: في التعريف بالمؤلف تضمن:

أولاً: اسمه.
ثانياً: نسبته.
ثالثاً: مولده.
رابعاً: طلبه العلم وارتحاله إليه.
خامساً: مكانته العلمية وثناء الناس عليه.
سادساً: مصنفاته.
سابعاً: جهوده في الدعوة إلى السنة ومحاربة البدعة.

---

١ سورة آل عمران: آية ٣١.
٢ سورة الأنعام: آية ١٥٣.
٣ سيأتي تخريجه ص ٩٥.
٤ وانظر: ص ٨١ لمزيد الإيضاح عن اسم الكتاب.

ثامناً: وفاته.
الفصل الثاني: في التعريف بالكتاب ووصف النسخة الخطية، وعملي في الكتاب، على النحو التالي:
- التعريف بالكتاب.
أولاً: اسمه.
ثانياً: توثيق نسبته للمؤلف.
ثالثاً: موضوع الكتاب.
- وصف النسخة المعتمدة في التحقيق.
- عملي في الكتاب.

القسم الثاني : تحقيق الكتاب.

وقد بينت عملي فيه في الفقرة المشار إليها قبل.

وإذ أقدم هذا الكتاب لأرجوا الله مخلصاً أن ينفع به من اطلع عليه، وأن يجعل عملي المتواضع فيه خالصاً لوجهه تعالى، وأن يصلح العمل والنية، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه/ د. محمد باكريم محمد باعبد الله

١٤١٥/٩/٢هـ

تمهيد في التعريف بالمؤلّف والكتاب

الفصل الأول: التعريف بالمؤلّف.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب ووصف النسخة المعتمدة وعملي في الكتاب.

الفصل الأول: التعريف بالمؤلّف:

أولا: اسمه.
ثانيا: نسبته.
ثالثا: مولده.
رابعا: طلبه العلم ورحلاته.
خامسا: مكانته العلمية وثناء الناس عليه.
سادسا: مصنفاته.
سابعا: جهوده في الدعوة إلى السنة ومحاربة البدعة وأسلوبه في ذلك.
ثامنا: وفاته.

الفصل الأول
التعريف بالمؤلّف

بعد الدراسة الضافية والموسعة، التي قدّمها الدكتور بشار عوّاد عن الإمام الذهبي بعنوان: "الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام "٥؛ لا أجدني بحاجة إلى تقديم دراسة وافية عن حياة الإمام الذهبي، وسأكتفي بتدوين ترجمة موجزة للمؤلف تتضمن الأمور التالية:

أولاً: اسمه:

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ابن الشيخ عبد الله التركماني، الفارقي٦ ثم الدمشقي الشافعي٧، ويكنى بأبي عبد الله.

ثانياً: نسبته:

اشتهر رحمه الله بـ "الذهبي " أو "ابن الذهبي "، نسبة إلى صنعة أبيه، حيث كان أبوه قد برع في صنعة الذهب، وتميز بها فعرف بالذهبي.

قال د. بشار: "ويبدو أنه- أي صاحب الترجمة- اتخذ صنعة أبيه مهنة له في أول أمره، لذلك عرّف عند بعض معاصريه بـ "الذهبي "، مثل: الصلاح الصفدي، وتاج الدين السبكي، والحسيني، وعماد الدين ابن كثير "٨ .

قلت: ويدل لذلك قول سبط ابن حجر في ترجمته: "وتعلّم صناعة الذهب كأبيه وعرف طرقها"٩.

لذا نجد الذهبي يعرّف نفسه في الغالب بـ "ابن الذهبي "١٠ وأحيانا بـ " الذهبي" ١١.

---

٥ وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، ظهرت أولى طبعاتها سنة ١٩٧٦م.

٦ نسبة إلى "ميافارقين"مدينة من أشهر مدن ديار بكر. انظر عنها:معجم البلدان للحموي: ٧٠٣/٤.

٧ الذهبي: المعجم المختص بالمحدثين: ص٩٧، بتحقيق:محمد الحبيب الهيلة، نشر مكتبة الصحابة بالطائف سنة ١٤٠٨هـ.

٨ الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ٧٩، ط: الحلبي ١٩٧٦م.

٩ رونق الألفاظ: (٢/ ٣٥/ أ) مخطوط. عن قاسم علي سعيد صفحات في ترجمة الحافظ الذهبي.

١٠ انظر: المعجم المختص. ص ٩٧، ومعجم الشيوخ الكبير: ١٢/١ بتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، نشر مكتبة الصحابة بالطائف سنة ١٤٠٨ هـ .

١١ انظر: السبكي. طبقات الشافعية الكبرى: ٩/ ١٠٢، بتحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو،

ثالثاً: مولده:

ولد الإمام الذهبي في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة١٢ في مدينة دمشق١٣.

قال تلميذه الصفدي: "وأخبرني- أي الذهبي- عن مولده فقال: في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة"١٤.

رابعاً: طلبه العلم ورحلاته:

بدأ الذهبي رحمه الله في طلب العلم في سن الثامنة عشرة من عمره ١٥، وكانت عنايته متجهة إلى علم القراءات، وعلم الحديث، وقد بلغ في علم القراءات شأواً عالياً، فبرع في هذا الفن حتى إن شيخه شمس الدين أبا عبد الله محمد بن عبد العزيز الدمياطي، أقعده مكانه في حلقته في الجامع الأموي في أواخر سنة ٦٩٢، أو أوائل ٦٩٣ حينما أصابه المرض الذي توفى فيه١٦، وألف في هذا الفن كتابه القيّم "طبقات القرّاء".

أما علم الحديث فقد شغف به، وأولاه جل عنايته، فسمع ما لا يحصى من الكتب، ولقي الكثير من الشيوخ وأخذ عنهم، وأصيب بالشَرَهِ في سماع الحديث وقراءته حتى إنه كان يسمع من أناس قد لا يرضى عنهم، كما قال في ترجمة: علاء الدين أبي الحسين بن مظفر الاسكندراني: "ولم يكن عليه ضوء في دينه، حملني الشره على السماع من مثله، والله يسامحه"١٧.

وقد رحل الإمام الذهبي في طلب العلم، فسمع بدمشق، وبعلبك، وبالقرافة، وبالثغر، ومكة، وحلب، ونابلس١٨، وحمص، وطرابلس، والرّملة، وبلبيس، والقاهرة، والإسكندرية، والحجاز، والقدس وغير ذلك١٩.

خامساً: مكانته العلمية وثناء الناس عليه:

برع الإمام الذهبي رحمة الله عليه في علم الحديث ورجاله، والتاريخ وله تمكن في علم القراءات، مع مشاركة قوية في مختلف علوم الشريعة، وعلوم الآلة من نحو وصرف وأدب.

وقد تبوّأ رحمه الله مكانة علمية عالية في حياته، وكان جديراً بتولي مشيخة بعض المدارس والدور العلمية في عصره.

فتولى مشيخة دار الحديث بتربة أم الصالح، وهي من أكبر دور الحديث بدمشق، كما تولى بعد ذلك مشيخة دار الحديث الظاهرية.

وتولى تدريس الحديث بالمدرسة النفيسية، ومشيخة الحديث بدار الحديث والقرءآن التنكزية، ودار الحديث الفاضلية، ودار الحديث العُرَوِيّة٢٠.

عرف منزلة الذهبي هذه، ومكانته، أفاضلُ أهل العلم من تلاميذه الذين أخذوا وتلقوا عنه، ومعاصريه الذين أدركوا فضله ومكانته، ومن جاء بعده من أهل العلم والفضل، فذكروه بخير، وأثنوا عليه بالجميل.

فقال تلميذه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في ترجمته: "... أبو عبد الله الذهبي، حافظ لا يجارَى، ولافظ لا يبارَى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإيهام في تواريخهم والإلباس، مع ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثَر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف... اجتمعت به وأخذت عنه، وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه،... له دُربة بأقوال الناس، ومذاهب الأئمة من السلف، وأرباب المقالات، وأعجبني ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن، أو ظلام إسناد، أو طعن في رواة، وهذا لم أر غيره يعاني هذه الفائدة فيما يورده"٢١.

وقال ابن ناصر الدين: "... كان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالماً بالتفريع والتأصيل، إماماً في القراءات، فقيهاً في النظريات، له دُربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات، قائماً بين الخلف، ينشر السنة ومذهب السلف... " ٢٢.

ط: الأولى ١٣٨٣ هـ .

١٢ الذهبي: المعجم المختص : ص ٩٧

١٣ المصدر السابق.ص ٩٧.

١٤ نكت الهميان: ص ٢٤٢، ط: المطبعة الجمالية بمصر، سنة ١٣٢٩ هـ .

١٥ ابن فهد: لحظ الألحاظ ذيل تذكرة الحفاظ: ص ٣٤٨.

١٦ الذهبي:معجم الشيوخ:٢/٢١٨.

١٧ انظر: معجم الشيوخ ٢/٥٨.

١٨ الذهبي: المعجم المختص: ص ٩٧.

١٩ الصفدي: نكت الهميان: ص ٢٤٢.

٢٠ راجع عن هذه المدارس و مشيخة الذهبي لها: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام:ص ١٣٣. ومقدمة د. بشار لسير أعلام النبلاء: ١/٤١.

٢١ نكت الهميان: ص ٢٤١.

٢٢ الرد الوافر: ص٦٥، بتحقيق: زهير الشاويش، ط: الأولى ١٤٠٠هـ، نشر: المكتب الإسلامي.

وقال عنه السيوطي: "... وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير، ورحل، وعني بهذا الشأن، وتعب فيه وخدمه، إلى أن رسخت فيه قدمه، وتلا بالسبع، وأذعن له الناس، -قال-: "وحكي عن شيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر أنّه قال: "شربت ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ".

والذي أقوله إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر"٢٣.

هذا بعض ما قيل في هذا الإمام العظيم الشأن، وما تركت أكثر، وهو بعض ما يستحقه رحمة الله عليه.

أمّا هو فكان يقلل من شأن نفسه، ويتواضع تواضع العلماء الربّانيين فيقول في ترجمته لنفسه: "... وجمع تواليف- يقال مفيدة - والجماعة يتفضلون ويثنون عليه، وهو أخبر بنفسه، وبنقصه في العلم والعمل، والله المستعان، ولا قوة إلاّ به، وإذا سلم لي إيماني فيا فوزي"٢٤.

يقول هذا عن نفسه، وهو من عرفنا في العلم والإمامة والفضل، فهل يعي هذا الجانب طلبة العلم؟، فإن لهم والله في سيرة هذا الإمام وأمثاله لقدوة، وأسوة.

سادساً: مصنفاته:

ذكر الدكتور بشّار للإمام الذهبي مائتين وأربعة عشر مصنفاً، وأشار في مقدمته إلى أنه عني بذكر آثار الذهبي من المختصرات، والانتقاءات والتآليف، والتخاريج، مما ذَكَرتْه المصادر، أو وقف عليه، سواء أكانت مفقودة أم مخطوطة أم مطبوعة٢٥.

وأشار أيضاً إلى أنه لم يُعْنَ باستقصاءِ طبعات الكتب ولا نُسَخِها في جميع خزائن العالم٢٦.

وقد بذل جهداً متميزاً في دراسته للإمام الذهبي وكتابه "تاريخ الإسلام " بوجه عام، وفي اعتنائه بتتبع مؤلفاته ومحاولة استقصائها.

ومع ذلك فقد فاته ذكر بعض مصنفات الإمام الذهبي، التي لم يقف عليها أو على ذكر لها، ذكر منها الأستاذ: قاسم علي سعد ثمانية وثلاثين مصنفاً٢٧. وفاته هو أيضاً ذكر بعض مصنفات الإمام الذهبي. وفي هذا دلالة على أن النقص وعدم الكمال من طبيعة عمل البشر، إذ أبى الله أن يتم كتاباً غير كتابه عز و جل.

ولمّا كان عمل الباحثين في فن من الفنون يكمل بعضه بعضاً، ويبدأ الآخر من حيث انتهى الذي قبله وهكذا حتى تتظافر الجهود على البلوغ بالبحث إلى أقصى ما يمكن للبشر من الاستيعاب و الإتقان.

فإني من هذا المنطلق لم أشأ أن أعدد مصنفات الذهبي، التي ذكرها د.بشار أو الأستاذ قاسم علي سعد، لأنه تكرار لا موجب له، و رأيت أن أكتفي ببعض الإضافات التي وقفت عليها، سواء في أسماء المصنفات والمؤلفات، أو في ذكر نسخ خطية أخرى لبعضها، أو في الإشارة إلى طبع ما تم طبعه منها، وإن كان الدكتور بشار لم يلتزم باستقصاء الطبعات، ولا النسخ إلاّ أنه لو وقف على شيء من ذلك لذكره، وحيث إن في ذكر ذلك ما يفيد الباحثين، وطلاب العلم رأيت أن لا غضاضة في ذكر ما وقفت عليه أو بلغه علمي من نسخ أخرى لبعض هذه المؤلفات، أو طبعات لبعضها، أو زيادة توثيق لمصنفات ذكرها د. بشار، ولاسيما إذا كان هذا التوثيق من كلام الإمام الذهبي.

وهذا العمل ليس استدراكا على الباحثين الكريمين، ولا يقلل بحال من عملهما وإنما هو إضافة أطمع أن تكون مكملة لعملهما، مفيدة للباحثين وطلاب العلم.

وهذا أوان تفصيل ذلك:

أولاً: مؤلفات لم يذكرها د. بشار، أو الأستاذ قاسم:

١- أسماء الذين راموا الخلافة.

ورقة واحدة طبعت بتحقيق د. صلاح الدين المنجد.

٢- الإمامة العظمى.

رسالة اختصر فيها كلام ابن حزم في ذلك، لها نسخة مصورة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣- مختصر الجهر بالبسملة لأبي شامة:

له نسخة في الظاهرية ضمن مجموع رقم (٥٥) الذي فيه "ذكر الجهر بالبسملة مختصراً" الذي اختصره الذهبي من تصنيف في هذا الموضوع للخطيب البغدادي، ذكره د. بشار برقم (١٣٣).

٤- مسائل في طلب العلم و أقسامه.

---

٢٣ طبقات الحفاظ: ص ٥٢٢، ط: الأولى ١٤٠٣ هـ، نشر: دار الكتب العلمية.

٢٤ المعجم المختص. ص ٩٧.

٢٥ الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ١٣٩.

٢٦ المصدر السابق ص ١٤٠.

٢٧ صفحات في ترجمة الحافظ الذهبي: ص ٣١.

يوجد له نسخة في الظاهرية برقم (٣٢١٦) و هو غير كتاب: "بيان زغل العلم" الذي ذكره د. بشار برقم (١١٩)،وأشار إلى نشره. و قد طبع كتاب المسائل، بتحقيق: جاسم الدوسري.

٥- مشيخة محمد بن يوسف بن يعقوب:

ذكره الذهبي في "المشتبه"[٢٨].

٦ - العزة للعلي العظيم.

ذكره الذهبي في السير (١١/ ٢٩١) ويحتمل أن يكون هو "العلو للعلي العظيم ".

ثانياً: ذكر نسخة أو نسخ خطية لبعض مؤلفات الذهبي، لم يشر إليها د. بشار.

١- بيان زغل العلم.

ذكره د. بشار برقم (١١٩) وذكر له نسخة برلين.

قلت: عثر له على نسختين أخريين:

أولاهما: في مكتبة الأحقاف بتريم، وعنها صورة في معهد المخطوطات في الكويت تحت رقم (١٨١).

والأخرى: في إحدى مكتبات اليمن، وعنها صورة في قسم المخطوطات في عمادة شئون المكتبات في الجامعة الإسلامية تحت رقم (٢٥٤).

٢- ذيل دول الإسلام.

ذكره د. بشار برقم (٦٤)، ولم يذكر له نسخاً خطية.

قلت: له نسخة خطية في مكتبة "تشستربتي " برقم (٤١٠٠)، بعنوان "ذيل تاريخ الإسلام".

٣- الرخصة في الغناء بشرطه.

ذكر له د: بشار نسخة الظاهرية رقم (٧١٥٩) في ٥٤ ورقة.

قلت: له نسخة أخرى في مكتبة "تشستربتي" في إيرلندا، تحت رقم (٥٣٥٦) في ٥٧ ورقة.

٤- مختصر مناقب سفيان الثوري.

ذكره د. بشار برقم (١٦٣)، وقال: ولا نعرف اليوم منه نسخة.

قلت: له نسخه في دار الكتب المصرية برقم (٣٨٢ مجاميع طلعت).

٥- المعجم المختص بمحدثي العصر.

ذكره د. بشار برقم (٨٤) ولم يذكر له نسخة.

وقد وجد له نسختان خطيتان الأولى في المكتبة الناصرية بالهند تحت رقم (١٥٤)، والثانية في مكتبة آزاد ذخيرة سبحان الله، الجامعة الإسلامية في عليكره برقم (٢١٢ ع ٢٩٧)/٢.

٦- المقتنى في سرد الكنى.

ذكره د. بشار برقم (١٦٩)، وذكر له ثلاث نسخ، الأولى في الأحمدية بحلب، والثانية في مكتبة فيض الله في استانبول، والثالثة في مكتبة الأوقاف ببغداد.

قلت: له نسخة رابعة في دار الكتب المصرية برقم (٢٧٨٦ ب).

ثالثاً: ذكر بعض مصنفات الذهبي التي طبعت، ولم يشر إليها د. بشار إما لأنها طبعت بعد انتهائه من مؤلفه، أو لم يقع له علم بذلك.

١- أحاديث مختارة من الموضوعات من الأباطيل للجوزقاني. [١٢٥][٢٩]

طبع بتحقيق: د. محمد حسن الغماري، بعنوان "مختصر الأباطيل والموضوعات". نشرته دار البشائر الإسلامية سنة ١٤١٣ هـ.

٢- الأربعين في صفات رب العالمين. [١٣]

طبع بتحقيق: جاسم سليمان الدوسري، نشرته الدار السلفية في الكويت، سنة ١٤٠٨ هـ.

كما طبع أيضاً بتحقيق: عبد القادر بن محمد عطا صوفي، نشرته مكتبة العلوم والحِكَم بالمدينة المنورة، سنة ١٤١٣هـ.

٣- تَشبِّه الخسيس بأهل الخميس. [٢٩]

طبع بتحقيق: علي حسن عبد الحميد، نشرته دار عمار، بالأردن، سنة ١٤٠٨ هـ .

٤- ذكر الجهر بالبسملة مختصراً . [١٣٣]

طبع بتحقيق: جاسم سليمان الدوسري، نشرته الدار السلفية في الكويت، سنة ١٤٠٨ هـ .

٥- ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان. [٦١]

طبع بتحقيق: جاسم سليمان الدوسري، نشرته الدار السلفية في الكويت، سنة ١٤٠٨ هـ.

---

٢٨ المشتبه في الرجال:١/٢٩٠، بتحقيق علي محمد البجاوي، ط الأولى ١٩٦٢.

٢٩ الرقم بين الحاصرتين المعقوفتين يشير إلى رقم الكتاب في كتاب د. بشار "الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام".

٦- المجرد في أسماء رجال كتاب سنن الإمام أبي عبد الله ابن ماجة سوى من أخرج له منهم في أحد الصحيحين.[٧٨]
طبع بتحقيق: جاسم سليمان الدوسري، نشرته الدار السلفية في الكويت، سنة ١٤٠٨هـ .
٧- مختصر مناقب سفيان الثوري. [١٦٣]
طبع بتحقيق: قسم التحقيق بدار الصحابة للتراث بطنطا، سنة ١٤١٣هـ .
٨- معجم الشيوخ الكبير. [٨١]
طبع بتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، نشرته مكتبة الصديق بالطائف، سنة ١٤٠٨ هـ.
٩- المعجم الصغير. [٨٣]
طبع بتحقيق: جاسم سليمان الدوسري، نشرته الدار السلفية في الكويت، سنة ١٤٠٨هـ. باسم " المعجم اللطيف ".
١٠- المعجم المختص بمحدثي العصر. [٨٤]
طبع بتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، نشرته مكتبة الصديق بالطائف، سنة ١٤٠٨ هـ.
١١- المقتنى في سرد الكنى. [١٦٩]
طبع بتحقيق: محمد صالح المراد، نشره مركز البحث وإحياء التراث الإسلامي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة ١٤٠٨ هـ .
١٢- الموقظة في علم مصطلح الحديث. [١١]
طبع بعناية: عبد الفتاح أبي غدة، نشرته مكتبة المطبوعات الإسلامية في حلب، سنة ١٤٠٥ هـ، وأعادت طبعه سنة ١٤١٢ هـ.

رابعاً: توثيق نسبة بعض مؤلفات الذهبي من كلامه في بعض مؤلفاته الأخرى.

اعتمد د. بشار في توثيق نسبة بعض المؤلفات للإمام الذهبي على ذكر بعض المترجمين للإمام الذهبي لها، مع أن الإمام الذهبي ذكرها في بعض كتبه، ولعل الدكتور بشار لم يقف على ذلك، ووثق نسبة بعضها من كلام الذهبي نفسه في بعض كتبه، ثم وقفت على توثيقها من كلامه أيضا في بعض كتبه فرأيت إثبات ذلك أيضا للفائدة. فمن ذلك:

١- ترجمة محمد بن الحسن الشيباني [١٠٥]
ذكره الذهبي أيضاً في: السير: ٢٣٣/١٣.
٢- سيرة الحلاج.[١٠٨]
ذكره الذهبي أيضاً في السير: ٢٦٥/١٦، وقال: "وقد جمعت بلاياه في جزئين "، وفي كلام الإمام الذهبي هذا إجابة على قول د. بشار: "وهو من كتب الذهبي الغريبة لأنه لم يكن من الذين يعتقدون بالحلاج ومبادئه"- ثم قال: "ولعله اهتم به لشهرته ولشدة خطورة سيرته وما قام به و... ".
قلت: وإنما جمعها الإمام الذهبي للتحذير منها، وبيان فسادها ومخالفتها للشرع.
٣- طرق أحاديث النزول[٨]
وثقه د. بشّار من كلام ابن تغري بردى، وسبط ابن حجر، وابن العماد.
وقد ذكره الذهبي نفسه في كتابيه " العلو ص ٧٣"٣٠ و"الأربعين في صفات رب العالمين. ص٧٠"٣١.
٤- كتاب مسألة دوام النار. [٢٣]
وثقه د. بشار أيضاً من كلام المذكورين في الذي قبله.
وقد ذكره الذهبي نفسه في السير: ١٢٦/١٨.
٥- كتاب معرفة آل منده. [٨٥]
ذكره الذهبي أيضاً في السير: ٣٨/١٧.
٦- كسر وثن رتن. [١٦٣]
ذكره الذهبي أيضاً في السير: ٣٦٧/١٢.
٧- الكلام على حديث الطير. [٥]
ذكره الذهبي أيضاً في السير: ٢٣٣/١٣.

سابعاً: جهوده في الدعوة إلى السنة ومحاربة البدعة وأسلوبه في ذلك:

الإمام الذهبي من أئمة أهل السنة، وأعلامهم في عصره، له في الدعوة إلى السّنة والذبّ عنها، ومحاربة البدعة والتحذير منها، جهود مشكورة، وآثار مذكورة مشهورة.

فمؤلفاته المفيدة، في التاريخ، والتراجم، كتاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ، وميزان الاعتدال، تحمل في طياتها كثيراً من أقواله في الحضّ على التمسك بالسنة، والثناء على أهلها، والتحذير من البدع وأهلها، وله في ذلك مصنفات متخصصة في كثير من مسائل الدين، عقيدة، وعبادة، بيّن فيها منهج أهل السنة والسلف الصالح الواجب اتباعه، وردّ

---

٣٠ بتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان ط المكتبة السلفية بالمدينة.
٣١ بتحقيق. عبد القادر بن محمد عطا صوفي.

على أهل البدع من الفرق والطوائف الحائدة عن سواء الصراط.

فمن هذه المصنفات:

١- كتابه القيم: العلو للعلي الغفار[٣٢]. وهو من أهم الكتب المصنفة في مسألة العلو، جمع فيه النصوص من الكتاب، والسنة، وآثار السلف والأئمة في إثبات علو الله عز وجل على عرشه، والرد على النفاة والمؤولة لهذه الصفة.

٢- الأربعين في صفات رب العالمين[٣٣]. أورد فيه أربعين حديثاً في عدد من صفات الله عز وجل.

٣- كتاب رؤية الباري، عز وجل. وهو من كتبه التي لم تصل إلينا.

٤- كتاب مسألة الوعيد. ولم يصل إلينا أيضاً.

٥- كتاب في مسألة دوام النار. ولم يصل إلينا أيضاً.

٦- تشبه الخسيس بأهل الخميس. وهو في بيان بدعة التشبه بالنصارى في أعيادهم[٣٤].

٧- التمسك بالسنن. وهو كتابنا هذا.

وقام رحمه الله باختصار بعض المؤلفات التي ألفّها بعض أهل العلم في الردّ على بعض الفرق والطوائف وأهل البدع، فله:

١- مختصر الرد على ابن طاهر لابن المجد، وهو في بيان مسألة السماع، ردّ فيه على من جوزه [٣٥] ولم يصل إلينا.

٢- مختصر كتاب القدر للبيهقي. قال د. بشار: "ولا نعرف اليوم نسخة منه ولا من أصله".

قلت: أما أصله، فقد عثر على نسخة منه، في المكتبة السليمانية في استانبول، تحت رقم (١٤٨٨)[٣٦].

٣- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال[٣٧]. اختصر فيه كتاب منهاج السنة، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وله تآليف عديدة، ومختصرات في هذا الباب مفيدة.

وكان رحمه الله شديد الحذر والتحذير من البدع، يخشى على نفسه وغيره من الوقوع فيها، فكان يدعو ربه عز وجل ويسأله السلامة من البدع والثبات على السنة. ويقول: "يا مصرف القلوب، ألهمنا سنة نبيك وجنّبنا الابتداع والتشبه بالكفار"[٣٨].

ويقول: "اللهم أحيي قلوبنا بالسُّنَّةِ المحضة، وأمددنا بتوفيقك ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اهدنا الصراط المستقيم، وجنبنا الفواحش والبدع ما ظهر منها وما بطن..."[٣٩].

ويُحَذِّر رحمه الله من البدع وإلْفِها وخطورة ذلك، فيقول: "فمتى تعودت القلوب بالبدع وألفتها لم يبق فيها فضل للسنن" [٤٠]. وفي ذلك موت القلوب وهلاكها وضلالها، وفي "اتباع السنن حَياة القلوب وغذاؤها"[٤١].

وهذه النقول من كلامه رحمه الله تدل على مدى حُبّه للسنة، وحرصه عليها، وحذره من البدعة والوقوع فيها.

وكان من منهجه رحمه الله في دعوة أهل البدع: سلوك طريق الرفق واللين إذا كان المبتدع جاهلاً، لأن ذلك أحرى باستجابته وإقلاعه عن بدعته، فيقول: "فليكن رفقك بالمبتدع والجاهل حتى تردهما عما ارتكباه بلين، ولتكن شدتك على الضال الكافر"[٤٢].

ويقول: "والجاهل يعذر ويبين له برفق "[٤٣].

ونلمس أحيانا في أسلوبه شيئاً من الشدة والحدّة ولاسيما مع من بُيِّن له الحق بدليله ولم يرعو عن بدعته وغيّه.

فنراه يقول بعد أن ذكر نقولاً عن أئمة السلف في باب الصفات: "وقد طولنا في هذا المكان، ولو ذكرنا قول كل من له كلام في إثبات الصفات من الأئمة لاتسع الخرق، وإذا كان المخالف لا

---

٣٢ مطبوع، تقدم.

٣٣ طبع، بتحقيق: جاسم سليمان الدوسري، نشرته الدار السلفية في الكويت سنة ١٤٠٨ هـ . وله طبعة أخرى بتحقيق: عبد القادر محمد عطا، نشرته مكتبة العلوم والحكم سنة ١٤١٣ هـ .

٣٤ وهو مطبوع كما تقدم.

٣٥ انظر: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام: ص ٢٤٠.

٣٦ انظر: د. أحمد عطية الغامدي: البيهقي وموقفه من الإلهيات: ص (٧٨). وقد سجل الكتاب أطروحة جامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٧ وهو مطبوع.

٣٨ تشبه الخسيس بأهل الخميس. ص ٣٩.

٣٩ المصدر السابق ص ٥٠.

٤٠ المصدر نفسه ص ٤٦.

٤١ المصدر نفسه ص ٤٦.

٤٢ المصدر نفسه ص ٤٥.

٤٣ التمسك بالسنن ص ١٣٠.

يهتدي عن ذكر ما أتت نقول الإجماع على إثباتها من غير تأويل، أو لا يصدقه في نقلها فلا هداه الله، ولا خير والله فيمن رد على مثل: الزهري، ومكحول والأوزاعي... "٤٤.

ثامناً: وفاته:

توفي الإمام الذهبي رحمة الله عليه ليلة الاثنين، ثالث ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ودفن في مقابر باب الصغير.

وكان رحمه الله قد أضَرّ قبل موته بأربع سنين أو أكثر٤٥.

وقال الحسيني: "... أضر في سنة إحدى وأربعين، ومات في ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، بدمشق . . "٤٦

الفصل الثاني

التعريف بالكتاب ووصف النسخة المعتمدة وعملي في الكتاب

- **التعريف بالكتاب.**

١- اسمه.

٢- توثيق نسبته للمؤلف.

٣- موضوع الكتاب.

- **وصف النسخة المعتمدة في التحقيق.**
- **عملي في الكتاب.**

الفصل الثاني

التعريف بالكتاب والنسخة المعتمدة

• التعريف بالكتاب ويتضمن الجوانب التالية:

أولاً: اسمه:

لم يدون اسم الكتاب على غلاف النسخة، ولم يذكره المؤلف في مقدمته.

وسجل الكتاب في فهارس قسم المخطوطات في عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية بعنوان: "رسالة في البدعة".

ويبدو أن المفهرس أخذ هذه التسمية من قول المصنف رحمه الله في مقدمته بعد ذكر حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم: "اعلم أن البدعة مذمومة في الجملة".

ومع بحثي في تراجم الإمام الذهبي ومؤلفاته فإني لم أجد من ذكر له مؤلفاً باسم " البدعة ".

لكن ذكر من مؤلفاته كتاب "التمسك بالسنن " ولم أقف على ذكر له مخطوطا ولا مطبوعاً.

وقد بحثت طويلاً في مؤلفات الذهبي لعلي أجد نقولاً من هذا الكتاب أسترشد بها وأقارن بينها وبين ما جاء في الكتاب الذي بين أيدينا فلم أظفر بشيء.

لكن موضوع كتاب "التمسك بالسنن " ذو صلة وثيقة ببيان البدع والتحذير منها.

وفي كتابنا هذا نجد الإمام الذهبي رحمه الله يجمع بين بيان السنن والحض عليها، وبين بيان البدع والتحذير منها. فيقول في أول الرسالة: "فاتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أصل ونور، ومخالفته ضلالة ووبال، وابتداع ما لم يأذن به ولا سَنَّهُ مردود"٤٧.

ويقول: "فلابدّ من العلم بالسنن "٤٨.

ويقول: "فعلى العالم أن يفتش على المسألة النازلة في كتاب الله، فإن لم يجد فتش السنن، فإن لم يجد نظر في إجماع الأمة... "٤٩.

ويقول في بيان ضرورة اتباع السنن والاقتصار عليها، ونبذ البدع والبعد عنها:

"وشرع لنا نبينا كل عبادة تقربنا إلى الله، وعلّمنا ما الإيمان وما التوحيد، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها، فأيُّ حاجة بنا إلى البدع في الأقوال والأعمال والأحوال والمحدثات، في السنة كفاية وبركة، فيا ليتنا ننهض ببعضها علماً وعملاً وديانة، واعتقاداً ".

ويقول في ص ٤٨: "لكن الخير كله في الاتباع واجتماع الكلمة".

وهل كلام الذهبي هذا، وما يماثله في هذا الكتاب، إلاّ دعوة إلى اتباع السنن، وحضٌّ على التمسك بها، ولا يتم ذلك إلا ببيان البدع والتنفير منها والحضِّ على الابتعاد عنها.

ولهذا أجدني شديد الميل إلى أن يكون كتابنا هذا هو كتاب (التمسك بالسنن) المذكور في مؤلفات الذهبي، ولذلك أثبته عنوانا للكتاب، ووضعت بين قوسين عبارة "والتحذير من البدع " لتضمن الكتاب الكلام عن البدع والتحذير منها.

ثانياً: توثيق نسبته للمؤلف:

---

٤٤ الأربعين في صفات رب العالمين، بتحقيق: عبد القادر عطا ص ٩٥.

٤٥ الصفدي، نكت الهميان: ص ٢٤٢.

٤٦ ذيل تذكرة الحفاظ: ص ٣٦.

٤٧ ص ٩٣.

٤٨ ص ١٠٠.

٤٩ ص ١١٨.

يدل على صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الذهبي أمور منها:

١- قول ناسخ هذه النسخة في نهايتها: "وكتبت هذه النسخة من خط مؤلفها الحافظ الذهبي وقوبلت على خطه ".

٢- ما سبق ذكره من الميل الشديد إلى كون هذا الكتاب هو كتاب " التمسك بالسنن " المذكور في مؤلفات الذهبي، كما ذكره، ابن تغرى بردى٥٠ ، وسبط ابن حجر٥١، وابن العماد٥٢.

٣- جرى الإمام الذهبي رحمة الله عليه في كثير من كتبه، أنه إذ ورد ذكر السنة، واعتقاد السلف الصالح، سأل الله: الثبات عليه والتوفيق إليه٥٣.

وإذ ورد ذكر فتنة في دين أو دنيا، ذيّل كلامه عليها، بالالتجاء إلى الله عز وجل وسؤاله السلامة منها٥٤.

وإذ ذكر بدعة في عقيدة، أو عبادة، ذيل كلامه عنها بالتعوذ منها وسؤال الله المعافاة والسلامة منها، والثبات على السنة، والتمسك بها٥٥.

وإذا ذكر معصية، أو سوء سلوك، في ترجمة عَلَم، ذيل كلامه بالدعاء له ولصاحبها بالصلاح٥٦.

وهذا المنهج والأسلوب نلمسه في كتابنا هذا في أكثر من موضع، فنراه لمّا ذكر أن اتباع غير سبيل المؤمنين بالهوى وبالظن وبالعادات المردودة مقت وبدعة، يدعو لنفسه فيقول: " اللهم اصرف قلوبنا إلى طاعتك "٥٧.

ولمّا ذكر ما أنعم الله به على هذه الأمة المحمدية من وضع الإصر والأغلال عنها، وإباحة طيبات كثيرة حرمت على أهل الكتاب يذيل كلامه بقوله: "فلله الحمد على دين الإسلام الحنيفي، فإنه يسر، ورفق، ورحمة للعالمين"٥٨.

ولمّا ذكر البدع وتنوعها تعوذ منها في قوله: "فبدع العقائد تتنوع أعاذك الله وإيانا منها" ٥٩.

ونحو ذلك في مواطن من الكتاب.

وهذا هو أسلوب الذهبي في كتبه ومؤلفاته، وهو قرينة قوية على صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الذهبي رحمة الله عليه، والله أعلم.

ثالثاً: موضوع الكتاب:

بدأ المؤلف كتابه ببيان أن البدعة مذمومة في الجملة، وأنها تشريع في الدين لم يأذن به الله.

وبيّن أنّ اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أصلٌ ونور وأنّ مخالفته ضلال ووبال.

ثم أورد النصوص الداعية إلى اتباع السنة، والمحذرة من الابتداع.

ثم تكلم على تحديد مفهوم السنة والبدعة، ومنشأ النزاع في البدعة وأنه نشأ من جهة قوم ظنوا أن البدعة هي ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والتابعون أو لم يقولوه.

ثم بين أن طريقة أهل الأثر التفريق بين البدعة الشرعية، والبدعة اللغوية. ونقل كلام الإمام الشافعي في تقسيم البدعة.

ثم بيّن خطأ قول من قال إن البدعة هي: "ما نهي عنها لعينها، وما لم يرد فيه نهي لا يكون بدعة ولا سنة"، وبين ما يلزم هذا القول من تعطيل معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة".

وأشار إلى بداية ظهور البدع وأن أولها بدعة الخروج، ثم الرفض والطعن في الصحابة، وبدعة القدر، والجبر، والجهمية، والتشبيه، ثم ذكر بدعة الخرّميّة، والقرامطة وتعطيل الشرائع وأن بدعة هاتين الطائفتين من البدع المكفرة.

ثم بيّن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: "من سن سنة حسنة..." وذكر أمثلة للسنة الحسنة، وأخرى للسنة السيئة، وذمّ من لم يفرق بينهما.

وأوضح المراد من قول عمر رضي الله عنه: "نعمت البدعة" ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة" وأنه ليس معناه كلّ ما سمي بدعة ولابد من التفريق بين البدعة الشرعية واللغوية.

وبيّن كمال الدين، واستدل على ذلك، وأنه لا حاجة بالأمة بعد إكمال الدين إلى البدع في

---

٥٠ المنهل الصافي: ق ٧٠.
٥١ رونق الألفاظ: ق ١٨٠.
٥٢ شذرات الذهب: ٦/ ١٥٦. وراجع: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ٢١٢.
٥٣ انظر مثلا: الأربعين في صفات رب العالمين، تحقيق: عبد القادر عطا ص ١٦٤.
٥٤ انظر: تشبه الخسيس بأهل الخميس ص ٣٠ .
٥٥ انظر: المصدر السابق: ص ٢٨، ٣٩،٥٠.
٥٦ وهذا كثير. انظر مثلا: المعجم المختص ص ٢٦١ ترجمة رقم (٣٣٢).
٥٧ انظر: ص ١٠٩.
٥٨ انظر: ص ١٢٢.
٥٩ انظر: ص ١٢٦.

الأقوال، أو الأعمال. وأنّ اتباع الشرع متعين، واتباع الهوى والعادات بدعة ممقوتة.

ثم ذكر بعض الأمور التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعمل بها في عهده لانتفاء شرط الفعل ووجود مانعه كقتال أهل الردة، والمجوس والترك والخوارج، وكأمره بإطاعة أمراء الجور والصلاة خلفهم فإذا فعلت هذه الأشياء عند وجود المقتضي لها فلا تعد بدعة لأنها إنما فعلت بأمره وإن لم تفعل في عهده.

وأشار إلى أن إحداث ما بالناس إليه حاجة لتنظيم أمورهم الدنيوية، كتمصير المدن وإحداثها، و وضع الدواوين وخزائن الأموال لا يدخل في مسمى البدعة المذمومة، وقد فعل الخلفاء والأئمة شيئاً من ذلك عند الحاجة.

ثم بين المنهج الذي ينبغي أن يسلكه العالم عند النوازل، وأنه ينبغي أن يفتش أولاً في كتاب الله عز وجل، ثم في السنن، فإن لم يجد نظر في إجماع الأمة.

وبين بعد ذلك أن فعل ما أمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن فعله أو الأمر به، أو الندب إليه، مع قيام المقتضي في عهده، ليس بحسن ولا بر.

وما أُحدث بعده وكان بنا إليه حاجة فحسن، كفرض عمر للصحابة وغيرهم وجمع الناس في التراويح، وجمع الناس على مصحف.

ونبّه إلى أنه قد كثر المنكر والمحدَث، وأنه ينبغي النهي عن ذلك بنيّة خالصة، وحذر من الغضب والفرقة.

وأشار إلى أنه قد وقع التفريط في مسمى السنة حتى أخرج عنها بعض مسماها، وأُدخل فيها ما ليس منها، وكذا الشرع أيضاً.

ونبه إلى يسر هذا الدين وسماحة الشريعة المحمدية وأنه ينبغي حمد الله على دين الإسلام فإنه دين يسر ورفق ورحمة للعالمين. وذكر أموراً كانت محرمة على الأمم قبلنا أباحها الله لهذه الأمة، كالعمل يوم السبت، وإباحة الغنائم، والتطهر بالتراب والصلاة في الأرض إلا المقبرة والحمام، وغير ذلك.

ثم بين تنوع البدع وتفاوتها في الشر مع كونها كلها ضلالة وأن شرها ما أخرج صاحبها من الإسلام وأوجب له الخلود في النار كبدع النصيرية، والباطنية، وادعاء نبوة علي.

ثم ذكر بعد ذلك بدع الخوارج، وغلاة الروافض، والجهمية، ثم بدع القدرية، والشيعة المفَضِّلة لعلي مع محبة الشيخين.

ثم ذكر بدع العبادات والعادات، وأن الخطب فيها أيسر منه في غيرها، كصلاة النصف من شعبان، وتلاوة جماعة بتطريب وأشباه ذلك. وذيل ذلك بأن الخير كله في الإتباع واجتماع الكلمة.

وصف النسخة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخة فريدة، أصلها محفوظ في: مكتبة الاسكوريال برقم ٥/٧٠٧.

لها صورة فلمية، محفوظة في قسم المخطوطات في عمادة شئون المكتبات في الجامعة الإسلامية تحت رقم (٧٩٥٥).

وهي نسخة منقولة من خط المؤلف، ومقابلة عليه، كما أثبت ذلك الناسخ في آخر الكتاب.

عدد لوحاتها: تقع هذه النسخة في ست لوحات. ضمن مجموع تبدأ من (٥٣/ آ-٥٨/ ب).

عدد الأسطر: يبلغ عدد الأسطر خمسة وعشرين سطراً في كل وجه من لوحات المخطوط.

عدد الكلمات: متوسط عدد الكلمات في كل سطر: عشر كلمات.

نوع الخط ووصفه: كتبت هذه النسخة بخط نسخي جيد، منقوط، ولم تخل النسخة من الأخطاء، وبعض الكلمات غير المقروءة.

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

عملي في الكتاب:

١- اجتهدت في قراءة النص ونسخه حسب القواعد الإملائية الحديثة، وضبطت بالشّكْل ما يحتاج إلى ضبط خاصة ما قد يُشْكِل على القارئ.

وحاولت قدر الطاقة إخراج النص على أقرب صورة تركه عليها المؤلف.

٢- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها، فأشَرْتُ في الحاشية إلى اسم السورة ورقم الآية.

٣- خرّجت الأحاديث النبوية، والآثار المروية عن السلف، وربما ذكرت كلام أهل العلم في الحكم على بعض الأحاديث.

٤- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في النص ترجمة موجزة.

٥- عرّفت بالفرق الوارد ذكرها في النص.

٦- شرحت ما يحتاج إلى شرح من الألفاظ الغريبة.

٧- أشرت إلى بداية كل صفحة من المخطوط بوضع خط مائل في النّصَ والإشارة أمامه في الحاشية إلى رقم اللوحة والوجه، بين قوسين على الشكل الآتي (٢/ ب) فالرقم يشير إلى رقم اللوحة والحرف يشير إلى أحد وجهي اللوحة.

٨- جعلت بعض العناوين بين قوسين مربعين داخل النصر المحقق.
٩- قمت بتحرير دراسة موجزة، عرّفت فيها بالمؤلف، والكتاب.
١٠- صنعت بعض الفهارس التفصيلة التي تسهل على القارئ والباحث الوصول إلى بغيته من الكتاب بيسر وسهولة، على النحو التالي:
* صنعت فهرساً للآيات القرآنية الواردة في النص المحقق.
* وفهرساً للأحاديث والآثار.
* وفهرساً آخر للأعلام الوارد ذكرهم في النص.
* وفهرساً للفرق والطوائف والأمم والجماعات.
* وفهرساً للأمكنة والبقاع.
* وفهرساً للألبسة والأطعمة والمراكب.
* وفهرساً للمراجع والمصادر.
* وأخيراً فهرساً للموضوعات.

النص المحقق

P 91

P92

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

[ذم البدعة]*٦٠

اعلم أن البدعة مذمومة في الجملة، قال تعالى: **{شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}**٦١، وقال: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ}**٦٢، "قال:**{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ}**٦٣.

فاتّباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أصلٌ ونورٌ ، مخالفته ضلال ووبال، وابتداع ما لم يأذن به ولا سنّه، مردود.

[روى]٦٤جعفر بن محمد٦٥، عن أبيه٦٦ عن جابر٦٧ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خُطبته: "إنّ أصدق الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهَدى هَدَى محمد، وشَرّ الأمور محدثاتُها، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ "٦٨.

وفي رواية ابن المبارك٦٩عن الثوري٧٠ عن جعفر: "وكل محدثة بدعة، وكل ضلالة في النار"٧١.

وحديث العرباض٧٢، وصححه الترمذي، قال: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: "يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا

---

٦٠ العناوين بين قوسين مربعين من وضع المحقق وليست من النص.
٦١ سورة الشورى، آية: ٢١.
٦٢ سورة الأنعام، آية: ١٥٣.
٦٣ سورة القصص، آية:٥٠.
٦٤ ما بين المعوقتين ليس في الأصل زيدت لاقتضاء السياق.
٦٥ هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، المعروف بالصادق، صدوق، فقيه، إمام، مات سنة ١٤٨. ابن حجر: القريب ١٣٢/١.
٦٦ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة، فاضل،مات سنة بضع عشرة ومئة. المصدر نفسه ١٩٢/٢.
٦٧ هو جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، ثم السلمي، صحابي ابن صحابي، مات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن ٩٤سنة. ابن حجر: الإصابة ٤٥/٢ والتقريب ١٢٢/١.
٦٨ م: كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ح٨٦٧ بلفظ: (فإن خير الحديث كتاب الله...).
البيهقي: السنن، كتاب الجمعة، باب:كيف يستحب أن تكون الخطبة ٣/ ٢١٤.
جه: المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل ١٧/١، ح ٤٥ ولفظه: (فإن خير الأمور كتاب الله...).
٦٩هو: عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة، ثبت، فقيه، عالم، جواد، مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، مات سنة ١٨١،وله ٦٣سنة. ابن حجر: التقريب٤٤٥/١.
٧٠ هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، الكوفي، ثقة، حافظ، فقيه عابد، إمام حجة، وكان ربما دلّس، مات سنة ١٦١وله ٦٤سنة. المصدر نفسه:٣١١/١.
٧١ كتاب صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة ١٨٨/٣ وفيه بعد: (وكل محدثة بدعة) (وكل بدعة ضلالة).
وقال الألباني: صحيح. صحيح سنن النسائي:٣٤٦/١ ح١٤٨٧.
٧٢ هو: عرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور، من أهل الصفة، نزل حمص، ومات بعد السبعين. ابن حجر: الإصابة ٤١٠/٦، والتقريب ١٧/٢.

عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"٧٣.
ورُوِيَ عن غُضَيف بن الحارث٧٤ مرفوعاً: "ما ابتدع قوم بدعة إلاّ تركوا من السنة مثلها"٧٥.
وجاء في الأثر: "كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة"٧٦.

تفسير هذه الإطلاقات:

فإن النزاع يقع في أشياء هل هي [محبوبة]٧٧ أو هي مذمومة؟.
فطائفة ذَمّتْهَا؟ لأنها بدعة، وأخرى لا تَذُمُّ، ويقولون: "مِنَ البدع حسنٌ وسيئٌ، وهذه من الحسن".
وقد تَعُدُّ طائفةٌ الشيء بدعةً ولا تشعر بأنّه جاء فيه أثرٌ.
وكذلك عامةُ الطوائف تَدّعي أنّها أهل السُّنة، وتُبَدِّعُ مَنْ خالفها.

[تعريف السنة]

فنقول: السُّنّةُ التي هي مقابلة البدعة، هي الشرعةُ المأثورةُ، من واجب ومندوب/، وصنّفَ خلائقُ من المحَدِّثين كُتباً في السُّنّة، والعقائد، على طرائق أهل الأثر، وسمى الآجري٧٨ كتابَه: (الشريعة)٧٩.

[تعريف البدعة]

فالبدعة على هذا: ما لا يأمر الله به ولا رسوله، ولم يأذن فيه، ولا في أصله.
فعلى هذا: كُلّ ما نهى الله ورسوله عنه فهو من البدعة.
أما المباحُ المسكوتُ عنه فلا يُعَدُّ سنةً ولا بدعةً، بل هُما مِمّا عفا الله عنه.
وفي السنن لسلمان٨٠ مرفوعاً: "ما سكَت الله عنه فهو مما عفا عنه"٨١ .
حديث أبى ثعلبة٨٢ مرفوعاً: "وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها"٨٣.

---

٧٣ ت: كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ٥/ ٤٤ح ٢٦٧٦ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
د: كتاب السنة، باب: لزوم السنة: ١٣/٥ ح ٤٦١٧.
حم: ١٢٦/٤.
جه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين: ١/ ١٥ ح ٤٢.
دي: المقدمة، باب اتباع السنة: ٤٤/١.
وأخرجه ابن أبي عاصم في: السنة: ١٨/١-١٩، ٢٩. وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.
٧٤ غضَيف بن الحارث السُّكُوني، ويقال: الثّمالي، يكنى أبا أسماء، مختلف في صحبته، مات سنة بضع وستين. ابن حجر: التقريب ٢/ ١٠٥.
٧٥ حم: ٤/ ١٠٥، ابن بطة: الإبانة: ١/ ١٧٦ ح١٠ وقال محققه: الحديث ضعيف. اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٩٠ ح ١٢١، وقال محققه: سنده ضعيف، فيه: أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. المروزي: السنة: ص٢٧ .
والحديث مداره على "أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم " قال فيه الحافظ في التقريب: ٣٩٨/٢ "ضعيف ". وقال الهيثمي: "منكر الحديث " مجمع الزوائد: ا/ ١٨٨.
وقال الألباني: في حاشيته على المشكاة "ضعيف ".
وقول الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٥٣/١٣، عن سند أحمد: "إنه جيّد" - مع أن فيه أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم وقد ضعفه هو في التقريب كما تقدم - عجيب.
٧٦ أخرجه: اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، من قول ابن عمر رضي الله عنهما ٩٢/١ ح١٢٦.
والمروزي: السنة: ص ٢٤.
٧٧ ليست في الأصل زدتها لاقتضاء السياق، واللفظة مأخوذة من قول المؤلف عند تفصيله القول في ذلك حيث قال: "كما أن السنة المحبوبة..." ص٩٧.
٧٨ وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، له تصانيف كثيرة، منها:كتاب: "الشريعة" و"الرؤية" وغيرهما، توفي بمكة سنة٣٦٠هـ .
٧٩ طبع بتحقيق الشيخ: محمد حامد الفقي.
80هو أبو عبد الله، سلمان الفارسي، ويقال: سلمان الخير، أصله من رام هرمز، وقيل: من أصبهان، أول مشاهده الخندق، مات سنة ٣٤ ويقال: بلغ ثلاثمائة سنة. ابن حجر: الإصابة ٢٢٣/٤.
٨١ ت: كتاب اللباس، باب: ما جاء في لبس الفراء: ٢٢٠/٤ح١٧٢٦، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلاّ من هذا الوجه"، قال: وروى سفيان وغيره عن سليمان التميمي عن أبي عثمان عن سلمان قوله: "وكأن الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظا".
وأخرجه الحاكم: المستدرك ١١٥/٤ وقال: "هذا حديث مفسر في الباب، وسيف بن هارون -راوي الحديث عن سليمان التميمي- لم يخرجاه"، وقال الذهبي: "ضعفه جماعة".
البيهقي: السنن ١٢/١٠.
٨٢ في الأصل (أبي نغيله) وهو تصحيف، وهو أبو ثعلبة الخشني.
٨٣ الحاكم المستدرك ١١٥/٤، وسكت عليه الذهبي.

فكل ما سكت الشارع عنه هل يسمى حلالاً أو عفوا ؟، فيه قولان للعلماء.
فالبدعة المذمومة، لابدّ أن تندرج في القسم المذموم محرمة كانت أو مكروهة.
كما أن السنة المحبوبة مندرجة في القسم المحمود.

[منشأ النزاع في تحديد مفهوم البدعة]

وإنما نشأ النزاع من جهة قوم ظَنُّوا أن البدعة هي ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والتابعون، أو لم يقولوه.

والرسول صلوات الله عليه يتَحتّمُ اتّبَاعُه، فلا يمكن أن يكون قوله أو فعله بدعةً قط، بل هو سنة، فتراهم تارة يقتصرون في البدعة على ما لم يصدر عنه، وتارة يَضُمُّونَ إليه الخلفاء الأربعة، وتارةً يَضُمون إليه البدريين، وتارة الصحابة، و تارةً الأئمةَ، وتارة السّلف.

[فما من أحدٍ]٨٤ من هؤلاء إلاّ مَن هو متبوع في شيءٍ ، لأنه من أُولي الأمر.

فإذا كان متبوعاً إمّا شرعاً، وإمّا عادةً، احتاج إيجاد البدعة إلى أن يُخْرَجَ ما يتبع فيه عن أن يكون بدعة.

ثم لمّا اعتقد هذا خلق صاروا يتنازعون بعد٨٥ في بعض هذه الأمور التي لم يفعلها المتبوع.

[البدعة كلها سيئة]

فقوم يرونها كلّها سيئة، أخذاً بعموم النص في قوله: "كل بدعة ضلالة"، فهؤلاء وقفوا مع النص؛ لأنّه٨٦ لابد لمن سلك هذا أن يقول: "ما ثبت حسنه من هذه البدع فقد خص من العموم، أو يفرق بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية".

وهذه الطريقة أغلب على الأثريّةِ، وذلك أشبه بكلام أحمد ومالك. لكن قد يُغَلِّطُون٨٧ في مسمى البدعة.

وقوم قسّمُوها إلى: محرم، ومكروه، ومباح، ومستحب، وواجب، وذكروا قول عمر: "نعمت البدعة"٨٨، وقول الحسن٨٩: "القصص بدعة، ونعمت البدعة، كم فيها من أخ مستفاد، ودعاء مستجاب"٩٠.

وقال الشافعي٩١: "البدعة بدعتان، بدعة: خالفت كتاباً، أو سنة، أو إجماعاً، أو قول صاحب، فهذه ضلالة، وبدعة: لا تخالف ذلك فهذه حسنة"٩٢.

قالوا: وثبت بالإجماع استحباب ما يسمى بدعة كالتراويح، وذكروا حديث: "من سن سنة حسنة"٩٣.

البيهقي: السنن ١٢/١٠ موقوفاً على أبي ثعلبة الخشني، قال البيهقي: "وأنبأنيه شيخنا أبو عبد الله الحاكم في المستدرك، وأشار إلى رفعه الدارقطني / السنن، كتاب الرضاع: ١٨٣/٤-١٨٤ح٤٢. وحسنه ابن رجب في: جامع العلوم والحكم٢/١٥٠.

٨٤ في الأصل (فمن أخذ) و ما أثبت يقتضيه السياق.
٨٥ كذا، ويحتمل رسمها أن تكون (بعض) على أنه لا معنى لها حينئذ فتكون زائدة.
٨٦ في الأصل (لأن).
٨٧ كذا في الأصل بالظا، و يحتمل أن تكون بالطا.
٨٨ خ: كتاب التراويح، باب قيام رمضان: ٣/ ٢٥٠ ح ٢٠١٠.
ط: كتاب الصلاة، باب قيام رمضان: ١/ ١١٤ ح ٣.
٨٩ هو: الحسن بن أبي الحسن، واسم أبي الحسن "يسار" البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي سنة ١١٠ هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٥٦/٧-١٧٨.
٩٠ ذكره ابن الجوزي في" تلبيس إبليس" ص ١١٧.
والسيوطي في الأمر بالإتباع: ص٩١ح٨٥ ط ١٤٠٩هـ بتحقيق: د. ذيب القحطاني.
٩١ الإمام محمد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله، (١٥٠-٢٠٤ هـ) انظر عنه: ابن أبي حاتم: " آداب الشافعي ومناقبه "، والبيهقي: "مناقب الشافعي ".
٩٢ أخرجه أبو نعيم: في الحلية ١١٣/٩، عن حرملة بن يحيى عن الشافعي.
. وأخرج البيهقي: في مناقب الشافعي ٤٦٨/١-٤٦٩، من طريق الربيع بن سليمان عن الإمام الشافعي كلاماً نحو هذا.
. وانظرْ الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبى شامة: ص ٩٣-٩٤.
. وجامع العلوم والحكم، لابن رجب: ٢/ ١٣١.
وفتح الباري: ٢٥٣/١٣.
قال ابن رجب: "ومراد الشافعي رحمه الله: ما ذكرناه من قبل أن **البدعة المذمومة** ما ليس لها أصل من الشريعة يرجع إليه، وهي البدعة في إطلاق الشرع.
وأما **البدعة المحمودة**: فما وافق السنة، يعني: ما كان لها أصل من السنة يرجع إليه، وإنما هي بدعة لغة لا شرعاً؛ لموافقتها السنة). جامع العلوم والحكم: ١٣١/٢.
٩٣ م : كتاب الزكاة، باب. الحث على الصدقة ٧٠٥/١ ح ١٠١٧، وكتاب العلم، باب: من سن سنة

لكنهم لا يكادون يضبطون الفرق بين البدعة الحسنة والبدعة السيئة، فهذا يَستَحسِنُ ما يَذُمُّه الآخر.

[القول بأن البدعة هي ما نهي عنه لعينه وبيان ما يلزمه]

وبعضهم قال: "البدعة هي: ما نهي عنها لعينها٩٤، وما لم يرد فيه نهي لا يكون بدعة ولا سنة".

فلازم قولهم: تعطيل معنى قوله: "كل بدعة ضلالة" حيث قابلوا٩٥: التعميم بالتقسيم، والإثبات بالنفي، ولم يبق فائدة لقوله: "كل محدثة بدعة"، بل يبقى بمنزلة قوله: كُلُّ ما نهيتكم عنه ضلالة.

لكن عمدتهم ما يقوم من الأدلة على حُسْنِ بعض ما سَمَّوْهُ بدعة، من إجماع، أو قياس.

وهذه طريقة مَنْ لم يتقيّد بالأثر إذا رأى حقا ومَصلحةً، مِنْ مُتكلِّم وفقيهٍ وصُوفي، فتراهم قد يَخْرُجُونَ إلى ما يخالف النّص، ويتركون واجباً ومُستحبًّا، وقد لا يَعرفون بالنّص، فلا بد من العلم بالسُّنَن.

أمّا ما صحّ فيه النهيُ فلا نزاع في أنّه منهيٌ عنه، وأنه سيّئ كما أن ما صَحّ فيه الأمر فهو شرع وسُنة.

وأما من خالف باجتهاد، أو تأويل، فهذا ما زالَ في الأعصار.

فأوّلُ ذلك بدعةُ الخوارج٩٦، حتى قال أولهم٩٧ للنبي: صلى الله عليه وسلم: "اعدل"٩٨.

فهؤلاءِ يُصَرِّحُون بمخالفة السنة المتواترة، ويقفون مع الكتاب، فلا يرجمون الزاني، ولا يَعتبرون النَصَابَ في السّرقة٩٩، فبدعتهم تخالف السنن المتواترةَ.

وغالب من يخالف مذاهب السلف في الأُصول والفروع، إنّما يُخالفها لاعتقاده أن ذلك مخالف للنُّصوص و العقل.

قال الإمام أحمد: "أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس"١٠٠.

وبعض الصحابة ردّ حديث: "الميِّتُ يُعذّب ببكاء أهله عليه"١٠١، وحديث: مخاطبة أهل قليب بدر١٠٢، وحديث: [بروع بنت واشق]١٠٣ في مهر المُفَوِّضة١٠٤، وحديث: بنت قيس في عدم

حسنة أو سيئة /٢٠٥٩ ح ١٠١٧ من حديث جرير في الموضعين.

٩٤ ويحتمل الرسم أن تكون بالباء.

٩٥ في الأصل (قالوا) وما أثبته يقتضيه السياق.

٩٦ الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان. وهم فرق.

وأهم بدعهم التي فارقوا بها جماعة المسلمين: القول بالخروج على الإمام الجائر، وتكفير أميري المؤمنين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والقول بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار.

انظر عن هذه الفرقة: الأشعري: المقالات١/١٦٧-١٦٨.

والبغدادي: الفرق بين الفرق ٧٢.

والشهرستاني: الملل والنحل١/١١٤.

٩٧ وهو: ذو الخويصرة التميمي.

٩٨ كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عه: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو يقسم قسماً - إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله: اعدل، فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن اعدل..." الحديث.

أخرجه: خ: مناقب، باب: علامات النبوة ٦/٦١٧ح٣٦١٠.

٩٩ راجع عن بدعتهم هذه: البغدادي: أصول الدين ص ١٩، و الفرق بين الفرق:٨٤. والشهرستاني: الملل والنحل ١/١٢١.وشيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى١/١٥٦. والسكسكي: البرهان ص٢١. وخادم حسين إلهي بخش: القرآنيون: ٨٢-٨٧.

١٠٠ ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: ١٣/٦٣.

١٠١ الحديث أخرجه: خ: كتاب الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه": ٣/١٥١ح١٢٨٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومن حديث عمر برقم ١٢٨٧.

وردّته عائشة رضي الله عنها في قولها: "رحم الله عمر، والله ما حَدث رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه" وقالت: "حسبكم القرآن: **{وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}** (الأنعام: الآية١٦٤)" خ برقم ١٢٨٨.

وفي رواية أخرى قالتْ: "إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودية يبكي عليها أهلها، فقال: "إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها"خ: رقم ١٢٨٨.

وفي رواية أخرى قالت: "وهل- أي: غلِطَ- تعني ابن عمر، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ليعذب بخطيئته وذنبه وإن أهله ليبكون عليه" خ: المغازى، باب: قتل أبي جهل: ٧/٣٠١ ح ٣٩٧٨.

١٠٢ الحديث أخرجه: خ: المغازى، باب قتل أبي جهل: ٧/ ٣٠٠ ح ٣٩٧٦، من حديث أبي طلحة رضي الله عنه.

السُّكْنى والنَّفَقة للمَبْتُوتة١٠٥.

وظهر في خلافة علي بدعة الخروج١٠٦، والرفض١٠٧، وطعن الصحابة بعضهم في بعض، وذلك خلاف الكتاب والسنة.

[بدعة القدر والجبر ومخالفتهما للكتاب والسنة]

ثم ظهر في حدود السّبْعين بدعةُ القدر١٠٨، كذبوا بالعلم، أو بالمشيئة العامّة، وذلك مخالف للكتاب والسنة.

وجاءت الجَبريّة١٠٩ فجعلوا العبد مجبوراً لا حكم عليه، فهذه أيضاً بدعة مخالفة لما في الكتاب من الأمر والنّهي، والوعد والوعيد، وإثابة المُحْسِن، وعقوبة الظالم.

فالأوّلون كذّبوا بخروج العصاة من النّار١١٠، وأحاديث الشفاعة، ومن الأخيرين يقولون: لا عذاب، وإن الإيمان لا يتفاوت.

[بدعة الجهمية]

ثم وجدت بدعة الجهْميّة١١١، والكلام في الله، فأنكروا الكلام والمحبّة، وأن يكون كَلّمَ موسى، أو اتخذ إبراهيم خليلا، أو أنَه على العرش استوى، وذلك مخالف للنصوص.

وقد ردّته عائشة رضي الله عنها وقالت: "ما قال- أي- النبي صلى الله عليه وسلم-: إنهم ليسمعون ما أقول، إنما قال: "إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقوله لهم حق، ثم قرأت:**{إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى}** (النمل: الآية:٨٠)، **{وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ}** (فاطر: الآية:٢٢) خ: ٧/٣٠١ح٣٩٧٩-٣٩٨٠ وراجع كلام ابن حجر في الفتح٧/٣٠٣-٣٠٤.

١٠٣ في الأصل: بياض.

١٠٤ أخرجه: د:كتاب النكاح،باب: فيمن تزوج ولم يسم صداقا حتى مات: ٢/٥٨٨ح٢١١٤.ونحوه:ح٢١١٦.

جه: النكاح، باب الرجل يتزوج المرأة ولا يفرض لها فيموت على ذلك ٦٠٩ ح ١٨٩١.

دي: النكاح، باب الرجل يتزوج المرأة فيموت قبل أن يفرض لها: ٢/١٥٥.

١٠٥ أخرجه: م: كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها: ٢/ ١١١٤ ح ١٤٨٠.

وقد ردّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: "لا نترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى و النفقة، قال الله عز وجل:**{لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}** (الطلاق: الآية١) }م: ٢/١١١٩.

١٠٦ وذلك بعد موقعة "صفين سنة ٣٧ هـ" وتقدم التعريف بالخوارج وذكر أهم بدعهم. انظر ص (١٠١).

١٠٧ حيث ظهر في خلافة علي رضي الله عنه،رأس الرفض ومؤصله، عبد الله بن سبأ وهو يهودي أظهر الإسلام، ثم أظهر محبة علي رضي الله عنه، وغلا فيه غلواً شديداً، وأظهر الطعن في الصحابة وخاصة في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفض إمامتهما، وادعى الوصية بالإمامة لعلي رضي الله عنه دونهما، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامته بعده.

فكل من أبغض أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، أو واحدا منهم، وأنكر إمامته وتقدمه وفضله، فهو رافضي، وسمي الرافضة بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر.

انظر: الأشعري، المقالات: ١/ ٨٩، والسجزي، الرد على من أنكر الحرف والصوت: ص٢١٧.

وانظر عن ابن سبأ ومقالته وأخباره، فرق الشيعة، للنوبختي ص١٩ بتصحيح: ريتر. ورجال الكشي: ص٧٠. و المقالات للقمي: ص٢٠. وكلها من كتب الرافضة، تثبت حقيقة ابن سبأ ودوره في الغلو في علي رضي الله عنه، وفي ذلك رد على من ينكر وجوده منهم.

وانظر: أيضا كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي، الإسماعيلي: ص٣٠٥ ضمن كتاب"الغلو والفرق الغالية" للسامرائي، نشر: دار واسط.

و للمزيد راجع كتاب: (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام) لسليمان بن حمد العودة.

١٠٨ أول من أظهر بدعة القدر، سوسن، ويقال له سنسويه، رجل من أهل العراق كان نصرانيا ثم أظهر الإسلام، ثم تنصر، وأخذ عنه هذه المقولة، معبد الجهني الذي قتله الحجاج سنة ٨٠هـ، وعنه أخذ غيلان الدمشقي.

ثم تزعم المعتزلة القول بنفي القدر بعد ذلك فسموا بالقدرية لأجل ذلك.

راجع: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/٢٢٥-٢٢٦ في ترجمة معبد الجهني.

وانظر عن القدرية: الأشعري: المقالات١/٢٩٨. والبغدادي: الفرق بين الفرق١١٤.و الشهرستاني: الملل والنحل١/٤٣،٤٥.

١٠٩ أول من قال هذه المقالة: الجهم بن صفوان السمرقندي، قال الذهبي: "هلك في زمان التابعين"، وذكر أنه زرع شرا عظيما، وذكر ابن كثير أنه قتل سنة ١٢٨ هـ. انظر: ميزان الاعتدال:١/٤٢٦، والبداية والنهاية:١٠/٢٧.

١١٠ في الأصل(التحار) وهو تحريف.

١١١ الجهمية: اتباع الجهم بن صفوان المذكور.

انظر في شأن هذه الفرقة: الأشعري: المقالات:١/٣٣٨، والبغدادي: الفرق بين الفرق٢١١، والشهرستاني: الملل والنحل:١/٨٦.

[بدعة التشبيه]

فنشأ من شَبَّه الباري، وجعل صفاته كصفاتنا، فخالفوا الكتاب والسُّنّة.

[البدع الكفرية]

ثم حدث في دولة المأمون١١٢ ما هو من البدع الكفرية، كالخُرّميّة١١٣، والقرامطة١١٤، وتعطيل الشرائع، وأن ذلك رموز، فلم يرتَبْ مُسْلِم في كفرهم.

فالمتّبِع ضد المُبتَدِع، لأن المتّبِع [لم يخرج]١١٥ من حدود متبوعه. [و]١١٦ المبتدع أحدث أمراً على غير مثال، قال الله تعالى:/**{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ}**١١٧ أي:"مبدع"، وقيل: "بديع سماواته وأرضه، ومنه: بديع الجمَال، وكلام بديع أي: لم يعهد له نظير".

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يَنْهَ عن كل أمر ابتدأه مبتدئ، وأحدثه محدث.

كمن١١٨ مَرّ إلى فَسقَةٍ، أو كُفّارٍ فدعاهم، ووعظهم، بل هو المَعْنِيُّ بقوله عليه السلام: "من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه"١١٩ الحديث.، وبقوله: "من سَنّ سُنّة حسنة"١٢٠. وقال تعالى: **{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}**١٢١.

وليس المراد بقوله: "من سَنّ سُنّة" أنه يبتدع عبادة أو قولاً لم يأذن الله به.

[السنة الحسنة والسنة السيئة]

ومن السُّنة الحسنة؛ ما فعله عمر بن عبد العزيز١٢٢ من رد المظالم، وأخذه من الأمراء أموالا١٢٣.

ومن السُّنّة السَّيِّئَة؛ ما فعله الحجّاج١٢٤ من أيمان البيعة، وجرأته على الدِّمَاءِ بمُجَرَّدِ شبهة، فإنه أحدث أموراً قبيحة.

ولهذا عَظَّمَ العلماء من قدر الشافعي، وأحمد١٢٥، والجنيد١٢٦، وأمثالهم أكثر من غيرهم؛

---

١١٢ هو الخليفة العباسي، عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، ولد سنة١٧٠ هـ، وولي الخلافة بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ إلى وفاته سنة ٢١٨هـ. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية:١٠/٢٨٧.

١١٣ الخرمية: أتباع: (بابك الخرّمي) الذي ظهر في زمن المأمون سنة ٢٠١هـ، في جبل البدين، بناحية أذربيجان، وكثر أتباعه بها، واستباحوا المحرمات، و قتلوا كثيراً من المسلمين.

جهز إليهم خلفاء بني العباس جيوشا كثيرة إلى أن أخذ بابك وأخوه إسحاق وصلبا بسر من رأى أيام المعتصم سنة ٢٢٣هـ. راجع : ابن كثير: البداية والنهاية:١٠/٢٥٩-٢٩٦-٢٩٧. وعن بدع هذه الطائفة: انظر: البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٦٦-٢٦٨، والإسفرائيني: التبصير في الدين ١٣٥.

١١٤ القرامطة، نسبة إلى: حمدان فرمط، أحد دعاة الباطنية، ومن بدعهم: القول بإبطال الفرائض من صلاة وحج وغير ذلك، وإباحة المحرمات.

انظر عن هذه الفرقة: البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٨٢. وبيان مذاهب الباطنية وبطلانه من كتاب عقائد آل محمد: ص٢٢. والموسوعة الميسرة: ٣٩٥.

١١٥ في الأصل بياض. اجتهدت في إثبات الجملة المناسبة للسياق.

١١٦ الواو ساقطة من الأصل، والسياق يقتضي إثباتها.

117 سورة البقرة، آية: ١١٧.

١١٨ الأصل: (كم) والسياق يقتضي ما أثبت.

١١٩ م: كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/ ٢٠٦٠ ح ٦٧٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: ".. لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً".

١٢٠ تقدّم، انظر: ص (٩٩).

١٢١ سورة البقرة، آية: ١٤٨.

١٢٢ الخليفة الأموي المشهور بالعدل والسيرة المرضية، ولد سنة ٦١هـ، وتولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، سنة ٩٩هـ، وتوفي مأسوفا عليه سنة ١٠٢هـ بدير سمعان. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٩٢-٢٠٠-٢٢٧.

١٢٣ أي وردها إلى بيت مال المسلمين. انظر المصدر السابق: ٩/٢٠٨-٢١٦.

١٢٤ هو: الحجاج بن يوسف الثقفي (٣٩، ٤٠ ، ٤١ - ٩٥) أحد عمال وولاة بني أمية، قال عنه الإمام الذهبي: "كان ظلوماً جبارا ناصبياً خبيثاً، سفاكاً للدماء . . وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله". سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٣.

وانظر أيضا: ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٣٩، وابن نباتة:سرح العيون ١٧٠-١٨٦.

١٢٥ هو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ) راجع: ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة١/٤، وابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد.

١٢٦ هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز النهاوندي، (٢٢٠-٢٩٨هـ) كان شيخ الصوفية في وقته، وكان يقول: "علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به". وهذا منهج ابتعد عنه متأخروا الصوفية فلحقهم الذم بسبب ذلك وغيره. انظر ترجمته لدى أبي نعيم: الحلية١٠/٢٥٥، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٤١، وابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة١/١٢٧، والذهبي: السير١٤/٦٦.

لأنهم سَنُّوا في الإسلام سنّةً حسنة، وأماتوا بدعاً سيِّئَة.

قال عليه السلام: "إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها"١٢٧.

فمن لم يُفرِّق بين ما ابتدعه الجعد١٢٨ ، وغيلان١٢٩، والجهم١٣٠، وبين ما أحياه عمر بن عبد العزيز١٣١، والحسن١٣٢، وأيوب١٣٣، والأوزاعي١٣٤، لم يفقه. وإن كان الكلُّ في اللغة قد ابتدعوا وشرعوا. بل كُلّ نبيٍّ له شِرْعَة ومنهاج بإذن ربه، وإنَما ذمّ الله مَنْ شرع ديناً لم يأذن به الله.

[المراد بقول عمر: نعمت البدعة]

ومن ذلك قول عمر: "نِعْمت البدعة"١٣٥؛ لأنها بدعة في اللغة لا في العُرف الشّرعي.

ومن بدعة اللُّغة: جَمْعُ المصحف، وشَرَح الله لذلك صدرَ عمر، وزيد١٣٦، وأبي بكر، ثم عثمان.

[المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة"]

فقوله: "كُلّ بدعة ضلالة" ليس المراد كل ما سمي في اللغة بدعة، ويوضحه قوله: "وشَر الأمور محدثاتُها"١٣٧ فكلاهما في العرف صار لما يذَمّ.

[كمال الدين وعدم الحاجة إلى الابتداع]

وديننا بحمد الله تام كامل مرضيٌّ ، قالت تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}١٣٨، وقوله عليه السلام: "ما تركت من شيء يقرِّبكم إلى الجنّة ويبعدكم عن النار إلاّ وقد حدّثْتُكُمْ به"١٣٩.

فأيُّ حاجة بنا بعد هذا إلى البدع في الأعمال والأقوال؟ قال ابن مسعود: "اتّبِعُوا ولا تَبْتَدعوا فقد كفيتم"١٤٠.

---

١٢٧ د: كتاب الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة: ٤/٤٨٠ح٤٢٩١.

الحاكم: المستدرك٤/٥٢٢، وسكت عليه الحاكم والذهبي، وذكر المناوي أن الحاكم صححه ولعله سقط من النسخة المطبوعة للمستدرك، قال الشيخ الألباني: "والسند صحيح ورجاله ثقات، رجال مسلم".

الداني: الفتن ص٧٠٠-٧٠١، وقال محققه: "وقد صرح بصحته عدد من أئمة الشأن" - وذكر ممن صححه - : السيوطي، والعراقي، وابن حجر، والحاكم، والبيهقي، والسخاوي.

١٢٨ هو: الجعد بن درهم، أول من ابتدع القول بأن الله لم يكلم موسى تكليما، ولم يتخذ إبراهيم خليلا، وقال بخلق القرآن، كان معلما لآخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، فنسب إليه وقيل له مروان الجعدي.

قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى لمقالته في كلام الله، سنة ١٢٤هـ.انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ١/٣٩٩، وابن كثير: البداية والنهاية ٩/٣٦٤، وابن نباتة: سرح العيون ٣٩٣-٣٩٤.

١٢٩ هو: غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، قال ابن قتيبة: "كان قبطيا قدريا، لم يتكلم أحد في القدر قبله، ودعا إليه إلا معبد الجهني"، - قلت: "وقبلهما سوسن أو سنسويه كما تقدم ص (١٠٤) أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق" المعارف: ٤٨٤، وانظر: الذهبي: الميزان ٣/٣٣٨.

١٣٠ تقدم ص (١٠٤) حاشية رقم (٤).

١٣١ تقدم ص (١٠٦).

١٣٢ تقدم ص (٩٩).

١٣٣ وهو: أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري (٨٦-١٣١ هـ)، أحد الأعلام، قال فيه حماد بن زيد: "هو أفضل من جالست، وأشدهم اتباعاً للسنة". الذهبي: التذكرة ١/١٣٠، والسير ٦/١٥، وابن سعد: الطبقات ٧/٢٤٦.

١٣٤ وهو: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (٨٨-١٥٧هـ)، كان ثقة مأمونا، صدوقاً فاضلاً خيراً، كثير الحديث والعلم والفقه، حجة. ابن سعد: الطبقات ٧/٤٨٨.

١٣٥ تقدم، انظر: ص ٩٩.

١٣٦ هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، كان من علماء الصحابة، وكتّاب الوحي، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنهما. مات سنة ٤٥هـ في قول الأكثرين. ابن حجر: الإصابة ٢/٤١.

١٣٧ تقدم، انظر: ص(٩٤).

١٣٨ سورة المائدة آية: ٣.

١٣٩ عبد الرزاق: المصنف١١/١٢٥ح٢٠١٠٠، من حديث معمر عن عمران عن صاحب له.

الشافعي: الرسالة ص ٨٧ رقم ٢٨٩، وجماع العلم ص ١١٩ رقم ٥١٤. وقال محققه الشيخ أحمد شاكر: "وهو حديث صحيح فيما أرجّح".

١٤٠ أبو خيثمة: كتاب العلم ص ١٢٢رقم ٥٤، و تمامه: "... وكل بدعة ضلالة".و قال محققه الشيخ الألباني: "هذا إسناد صحيح".

دي: المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي: ١/٦٩.

ابن وضّاح: البدع والنهي عنها ص ١٠.

المروزي: السنة ص ٢٨، رقم ٧٨، وقال محققه: "إسناده صحيح".

واتّبَاع الشرع والدين متعيّن، واتّباع غير سبيل المؤمنين بالهوَى وبالظّنّ وبالعادات المـردودة مَقْتٌ، وبِدْعة. اللهمّ اصرف قلوبنا إلى طاعتك.

قيل: إن أويساً القَرَني١٤١ قال لهَرِم بن حيّان١٤٢: "سَل الله أن يُصلح قلبك ونيّتَك، فـإنّي ما عالجتُ شيئاً عليَ أشد من صلاح قلبي ونيّتي"١٤٣.

وفي مسْلم١٤٤ عن ابن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله من نَبيٍّ إلا كان لـه مـن أُمّتِـه حواريـون، وأنصار يـستَنُّونَ بـسُنّتِه، ويَتّبعـون هديَـه، ثـم يَخْلُـف مـن بعـدهم خُلُوفٌ١٤٥ يقـولـون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، مـن جاهـدهم بيـده فهـو مـؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن١٤٦، ليس وراء ذلك من الإيمان حَبّة خردل".

وفي البخاريّ١٤٧ حـديث: "مـن عَمِـل عمـلاً لـيس عليـه أمرُنـا فهـو رَدٌّ" ولـو كانـت البدعـة مُستَحَبّةً لكانت مقبولة.

وقد أَمَرَ بأشياء لم تكن على عهده صلى الله عليه وسلم، أو لم تُعمل لعدم الحاجـة إليهـا، أو لانتفـاء شـرط الفعـل، ووجـود مانعـه، مثـل: قتـال أهـل الـرِّدةِ١٤٨، وقتـال المجـوس١٤٩، والتُّرْك١٥٠، ويـاج١٥١، والخوارج١٥٢، وكأمره بإطاعة أمراء الجور،

ابن بطة: الإبانة ٣٢٧/١ رقم ١٧٤-١٧٥.

اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٦/١، رقم١٠٤.

الطبراني: المعجم الكبير، قال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد:١٨١/١.

١٤١ وهو: سيد التابعين في زمانه أبو عمر أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي اليماني، أسلم زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن منعه من القدوم عليه برّه بأمه.

ترجم له ابن حجر في الإصابة: ١٨٧/١رقم ٤٩٧، شهد صفين مع علي وقاتل حتى قُتل، وانظر ترجمته أيضا لدى الذهبي في السير: ١٩/٤، وابن سعد: الطبقات ١٦١/٦، وأبي نعيم: الحلية ٧٩/٢.

١٤٢ وهو: هَرِمٌ بن حيّان العَبْدي، ويقال: الأزدي البصري، أحد العابدين، قَدِمَ دمشق في طلب أويس القرني، ترجم له ابن حجر في الإصابة: ٢٤٠/١٠رقم ٨٩٤٧، وهو فيه "ابن حبّان" بالباء. وانظر ترجمته أيضا لدى: الذهبي: السير ٤٨/٤، وابن سعد: الطبقات ١٣١/٧، وأبي نعيم: الحلية ١١٩/٢.

١٤٣ لم أقف عليه.

١٤٤ كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان: ٦٩/١ح٨٠ وفيه زيادة: "ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن" قبل قوله: "ليس وراء ذلك. . .".

حم: ٤٥٨/١-٤٦١، إلى قوله:"ويفعلون ما لا يؤمرون".

١٤٥ خُلُوفٌ: جمع خَلْف بتسكين اللام، وهو كل من يجيء بعد من مضى، إلا أنه بالتسكين في الشّر، ويأتي بتحريك اللام في الخير.

انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: ٦٥/٢-٦٦.

١٤٦ في الأصل (فهو من).

١٤٧ كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردودٌ: ٥/ ٣٠١ ح٢٦٩٧ من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ " وعلقه بلفظ المؤلف في كتاب: الاعتصام بالسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم: ٣١٧/١٣.

وأخرجه مسلم: في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور:١٣٤٣/٣ح ١٧١٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٤٨ وقد قاتل الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه طوائف المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال كلمته المشهورة في ذلك: "والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة..." خ: كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض، ٢٧٥/١٢ح ٦٩٢٥.

١٤٩ جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم..."، خ: كتاب المناقب، باب علامات الساعة، ٦/ ٦٠٤ ح٣٥٩٠.

١٥٠ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه دلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة" خ:كتاب المناقب، باب: علامات النبوة ٦/ ٦٠٤ح ٣٥٨٧.

١٥١ أي يأجوج ومأجوج، وهم قوم من ولد آدم يخرجون آخر الزمان، في زمن عيسى عليه السلام، كما جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: "إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فَحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة.." م: كتاب أشراط الساعة، باب ذكر الدجال ٦٨/١٨-٦٩بشرح النووي.

١٥٢ كما جاء في حديث علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة". خ: كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين ٢٨٣/١٢ح٦٩٣٠ وقد قاتلهم علي رضي الله عنه.

والصلاةِ خلفَهم١٥٣، وكشروط عمر عَلـىَ الذِّمّـةِ١٥٤، وكـانَ عليـه الـسلام أقرّ يهـود خيْبَـر لفِلاَحَتِها بلا جزية، ثمّ أجلاهم عمر، وضرب عليهم الجزية١٥٥.

وكـذا نزول ابن مريم حكمـا عدلاً، فيكسـر الصّليب، ويقتّل الخنزير، ويـضع الجزيـة١٥٦، وإنّمـا يفعل ذلك بأمر نبينا صلى الله عليه وسلم١٥٧.

وكـذلـك ما يفعله المؤمنون في اليوم الطويل، زمَنَ الـدّجّال في كثـرة الصلوات في قوله: "[اقدروا]١٥٨ له قدره"١٥٩.

وكذلك أمْرُهُ بالقعودِ في يوم الفتنة، وبالفرار إلى الجبَال في غَنَمِه١٦٠، وباتّخاذِ سـيف مـن خشب١٦١.

وكُلُّ ذلك بحسب الأحْوالِ، على ما دَلّتْ عليه النُّصُوص والعُمُومَات.

ومن ذلك: إذْنه في دُخول حمّاماتِ الأعاجم للرجـل بمِئْـزَر، ومَنـعِ المـرأة منـه، إلاّ المريضة، والنُّفَسَـاء١٦٢، فَلاَ يُقَالُ: دُخُولُ الحمّام بَدعة، فما كان في الحجاز حمّام١٦٣.

وكـذلـك المـطاعم، والملابس، والدور، والزّيّ١٦٤، قال الله تعـالى:**{لا تُحَرِّمُـوا طَيِّبَـاتِ مَـا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا}**١٦٥، وقال: **{وَسَخَّرَ لَكُـمْ مَـا فِـي الـسَّمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ}**١٦٦.

ولَمّا عَافَتْ نفسه الزَكِيّةُ أَكْلَ الضّبِّ ما حرّمَه، واعتذر بأنْ لم يَكُنْ بـأرض قومـه١٦٧، وكـان

---

١٥٣ في قوله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حملتم". م: كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق ٣/١٤٧٤ح١٤٨٦.

١٥٤ أي على أهل الذمّة، وشروط عمر رضي الله عنه، مشهورة بالشروط العمرية. شرحها العلامة ابن القيم في كتاب: أحكام أهل الذمة ٢/٦٥٧ وما بعدها.

١٥٥ أخرج قصة إجلائهم وسبب ذلك الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الشروط، باب: إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك: ٥/٣٢٧ح٢٧٣٠.

١٥٦ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد. . .". م: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى عليه السلام حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١/١٣٥ح٢٤٢.

١٥٧ لأن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم، ووضعه الجزية - وهو عدم قبوله لها، إذ لا يقبل من الناس إلا الإسلام- لأن مشروعية قبولها مقيدة بنزول عيسى عليه السلام، كما دلّ عليه الخبر المتقدم، وليس عيسى عليه السلام بناسخ لحكم الجزية بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ بقوله هذا. راجع النووي:شرح مسلم ٢/١٩٠٠.

وهو إذا نزل عليه السلام يكون تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وعلى ملته، لذا يصلي خلف المهدي ولا يتقدم للإمامة كما في حديث جابر: "فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، فيقول أميرهم: "تعال صل لنا" فيقول: "إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة". م: إيمان، باب نزول عيسى ١٩٣/٢، بشرح النووي.

١٥٨ ساقطة من الأصل.

١٥٩ م: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال: ٤/٢٢٥٢ح٢١٣٧، من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

١٦٠ خ: كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم: ١٣/٢٩ح٧٠٨١-٧٠٨٢من حديث أبي هريرة، وفي كتاب المناقب، باب علامات النبوة: ٦/٦١٢ح٣٦٠١.

م: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن: ٤/٢٢١٢ح٢٨٨٧من حديث أبي بكرة.

١٦١ ت: كتاب الفتن، باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة: ٤/٩٠ح٢٢٠٣ من حديث أهْبان بن صيفي الغفاري رضي الله عنه.

حم: ٥/٦٩.

١٦٢ د: كتاب الحمّام، باب(١): ٤/٤٠١١ح٣٠١ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وح٢٠٠٩ من حديث عائشة رضي الله عنها في الإذن للرجال في الميازر وليس فيها ذكر النساء.

جه: كتاب الأدب، باب دخول الحمام: ٢/١٢٣٣ح ٣٧٤٨ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وح٣٧٤٩ في الترخيص للرجال في الميازر دون النساء.

١٦٣ الجملة في الأصل غير واضحة اجتهدت في قراءتها على ما أثبت.

١٦٤ في الأصل بالراء، ولعلها "والزّيّ " بالمعجمة كما أثبتُّ.

١٦٥ سورة المائدة، آية: ٨٧.

١٦٦ سورة الجاثية، آية: ١٣.

١٦٧ خ: كتاب الأطعمة، باب الشواء: ٩/٥٤٢ح ٥٤٠٠، من حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه. وباب الأقط: ٩/ ٥٤٤ح ٥٤٠٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي كتاب الذبائح والصيد، باب الضب: ٩/٦٦٢ ح ٥٥٣٦، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وح٥٥٣٧ من حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه.

م: كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الضب: ٣/١٥٤٣ح١٩٤٥ و١٩٤٦ من حديث خالد بن الوليد رضي الله

يُحبُّ الحلوى١٦٨، والحَلْوَ البَارد١٦٩، واللَّحْم١٧٠، وأكْلَ الدَّجَاج١٧١، والرُّطَبَ، والقِثَّاءَ١٧٢، والطِّيِّبَاتِ التي بأرضه، وتَزَوَّجَ ببضع عشْرَةَ امرأة، ولَبسَ القميصَ١٧٣، والعِمَامَةَ١٧٤ والجُبَّةَ الضيِّقَة١٧٥، وركبَ الفرسَ١٧٦، والنَّاقةَ١٧٧، والحِمَار١٧٨، والبَغْلَةَ١٧٩، ولا كان مع ذلك يُكْثِر من التَّنَعُّم والرَّفاهِية، وما خُيِّر بين اثنين أمرين إلاّ اختار أيسرهما١٨٠ صلوات الله عليه وسلامه.

قال تعالى: **{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}**١٨١. وقال: **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا}**١٨٢.

فاحْذَرِ الورَعَ الفاسِدَ، ولا تَكُنْ عَبْدَ شَهَوَاتِك.

وكان يَمْرَضُ ويَتَداوَى، ويَحرص على أدْوِيةٍ نافعة، وعلى الحِجَامَة١٨٣.

ومما أُحْدِث: تَمْصِير الكوفة١٨٤، والبصْرة١٨٥، والمنابر١٨٦، ووضْعُ الدَّواوين١٨٧، وخزائن الأموال١٨٨، وأمثال ذلكَ مما فعله الخلفاء الراشدون، والأئمة، أو الأمّةُ كلُّها.

و[إن]١٨٩ استدَلّ مُتَكلم على من أنكر عليه بعض حِجاجه، ومسائله، بأنه بدعة؛ لأنّ السلف لم ينقَل عنهم نهيك عن هذا، فلابُدّ أن تجيبه بأن السَّلفَ ما احتاجوا إلى النَهي، ودَلَتِ النُّصُوصُ على النَّهْي، فالنَهْي حَسَنٌ .

وأيضاً فإذا كان الفعل بدعة، والبدعة ضلالةٌ ، فهذا تناقض.

فالفعل إن ثبت حُسْنُه بأدلّةٍ شرعيّةٍ ، فالنَّهْيُ عنه بِدعةٌ، وإن لم يَدُلّ عليه الشرع فهو بدعة، والنَّهْي عنه سُنَة.

وربّمَا كان فَصْلُ الخطاب، أنّ بعض الفعل حَسَن، وبَعْضُه سيّئ، مثاله: النَظَر والمُنَاظَرَةُ، فالجدالُ

عنه.

١٦٨ انظر: خ: كتاب الأطعمة، باب الحلوى والعسل: ٥٥٧/٩ ح ٥٤٣١.

١٦٩ انظر: ت: كتاب الأشربة، باب ما جاء في أيّ الشراب كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٣٠٧/٤ح١٨٩٥.

حم: ٣٨/٦-٤٠.

١٧٠ انظر: خ: كتاب الأطعمة، باب النهش وانتشال اللحم: ٥٤٥/٩ ح ٥٤٠٤ - ٥٤٠٥.

١٧١ انظر: خ: كتاب الذبائح والصيد، باب لحم الدجاج: ٩/ ٦٤٥ ح ٥٥١٧.

١٧٢ انظر: خ: كتاب الأطعمة، باب القثاء بالرطب: ٩/ ٥٦٤ ح ٥٤٤٠.

١٧٣ انظر: خ: كتاب اللباس، باب لبس القميص: ١٠/ ٢٦٦ح ٥٧٩٦.

ت: كتاب اللباس، باب ما جاء لبس القميص: ٢٣٧/٤ح ١٧٦٢ وح١٧٦٣ و١٧٤٦ و ١٧٦٦.

جه: كتاب اللباس، باب لبس القميص: ١١٨٣/٢ح٣٥٧٥.

١٧٤ ت: كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس العمامة السوداء: ٢٢٥/٤ح١٧٣٥ وقال الترمذي: "حديث جابر حسن صحيح".

جه: كتاب اللباس، باب إرخاء العمامة بين الكتفين: ١١٨٦/٢ح٣٥٨٧.

١٧٥ انظر: خ: كتاب اللباس، باب من لبس جُبَّة ضيِّقة الكمين في السفر: ٢٦٨/١٠ح٥٧٩٨.

١٧٦ فكان له صلى الله عليه وسلم فرس يقال (اللُّحَيف) بالمهملة وقيل بالخاء المعجمة.

خ: جهاد، باب اسم الفرس و الحمار: ٥٨/٦ح٢٨٥٥.

١٧٧ انظر:خ: كتاب اللباس، باب إرداف المرأة خلف الرجل ذا محرم: ٣٩٨/١٠ح ٥٩٦٨.

١٧٨ انظر:خ:كتاب اللباس، باب الارتداف على الدابة: ٣٩٥/١٠ح ٥٩٦٤.

١٧٩ انظر: م: كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه: ٢١٩٩/٤ح٢٨٦٧.

١٨٠ كما ورد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:"ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما...". خ: كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم: ٥٦٦/٦ح٣٥٦٠.

١٨١ سورة الطلاق، آية: ٧.

١٨٢ سورة الأعراف، آية: ٣١.

١٨٣ انظر:خ:كتاب الطب، باب السعوط: ١٤٧/١٠ح٥٦٩١، وباب أيّ ساعة يحتجم: ١٤٩/١٠ح٥٦٩٤، وباب الحجم في السفر والإحرام: ١٥٠/١٠ح٥٦٩٥.

١٨٤ اختطها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٧هـ. انظر: البلاذري: فتوح البلدان: ٢٧٤.

١٨٥ مَصَّرَها الخليفة الراشد عمر الفاروق رضي الله عنه سنة ١٤هـ. انظر: المصدر السابق ص ٣٤١.

١٨٦ وأول ما أحدثت في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ولم تكن قبل ذلك، كما ذكر السيوطي في الوسائل في مسامرة الأوائل ص ١٥ فقرة ٧٢.

١٨٧ أول من وضع الدواوين، أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه. انظر: ابن الجوزي: تاريخ عمر:١٢١.

١٨٨ وأول من اتخذ ذلك عمر أيضا رضي الله عنه، قال قتادة: "آخر مال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين، فما قام حتى أمضاه، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال، ولا لأبي بكر، وأول من اتخذ بيت المال عمر بن الخطاب". انظر: المصدر السابق ١١٩.

١٨٩ ليست في الأصل و السياق يقتضي إثباتها.

بالحسنى حَسَنٌ ، ومِنْه مَذْمُومٌ ، قال الله تعالى: **{مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلا الَّذِينَ كَفَرُوا}**١٩٠، وقال تعالى بجمع الأمرين: **{هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ}**١٩١

فمن جادل في الحق بعد ما تبين فهو مَذْمُوم، سواء قصد نصر إمَامِه، أو هَوَاه، وجادل بلا علم.

ومنه قوله عليه السلام في السُّنَن: "القُضاةُ ثلاثة: قاضيان في النّار وقاضٍ في الجَنّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الحق فقَضَى به فهو في الجنّةِ، ورجلٌ قَضَى على جهلٍ فهو في النار، ورَجُلٌ عَلِمَ الحَقّ فقَضَى بخلافه، فهو في النَار"١٩٢

وكذلك الْمُفْتِي، والشّاهد، والمفتي١٩٣، والمصنِّف، والمحدِّث، فمن تكلم بلا علم فجاهل، أو حَادَ عن الحقّ فظالم، أو تكلم بعلم فله أجران إنْ أصابَ، أو أجرٌ إنْ أخطأ.

فمن جادل الخَصْمَ بحُجَجٍ صَحِيحة دَلّ عليها النّصُّ أو الإجماع عند الحاجَةِ فَهُو مُحْسِنٌ إن صَلحت نِيّتُه، وذلك من فُروض الكفايات والنّهْي عنه عدوان.

ومن جادل بلا حُجج، وأعرض عن النُّصُوص، ومَشَى مع رأيِهِ وهواه كما يفعله كثير من المتكلّمين، فهو من المذمومين لاسيّما إذا أوقعه١٩٤ حِجاجُه في التزام ما١٩٥ يخالف الكتاب والسُّنّة، ونَهْيُه سُنّةٌ حسنةٌ، قال الله تعالى: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}**١٩٦، وقال:**{وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}**١٩٧.

[ما ينبغي للعالِم فعله تجاه النوازل من المسائل]

فعلى العالِمِ أن يُفَتِّشَ على المسألة النازلة في كتاب الله، فإن لم يجد فَتّشَ السُّنَن، فإن لم يجد نَظَرَ في إجماع الأمّةِ. وهذا هو المجتهد المطلق، وأنّى يُوجدَ ذلك.

[الاستدلال بتركه، أو إقراره مع علمه صلى الله عليه وسلم]

ومن الدّليل على مسائل عِدّة: تركُهُ، أو إقرَارُه مع علمه عليه السلام بالمسألة كما يُستَدل بتركه الزكاة في الخضروات التي بالمدينة على عدم الوجوب١٩٨، وبتركه نَهيه للحَبَشَة عن الزّفْن١٩٩ في المسجد على الرُّخْصةِ٢٠٠، وبترك التأذين في العيد والكسوف، والاستسقاء على عدم الاستحباب٢٠١، وأنه ليس بدين فما أمسك عن فعله، أو٢٠٢ الأمر به والنّدْب، مع قيام المقتضي دَلّ على أنه ليس بحَسَن ولا بِرٍّ .

وما أُحدِثَ بعده، وكَانَ بنا إليه حاجَةٌ فحَسَنٌ كفرض٢٠٣ عمر للصحابة وغيرهم٢٠٤،

---

١٩٠ سورة غافر، آية: ٤.

١٩١ سورة آل عمران، آية: ٦٦.

١٩٢ د. كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ: ٥/٤ح ٣٥٧٣ من حديث ابن بريدة عن أبيه.

جه: كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد: ٧٧٦/٢ح ٢٣١٥، من حديث ابن بريدة عن أبيه.

ت: كتاب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي: ٦١٣/٣ح ١٣٢٢، باختلاف في لفظه.

وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل: ٢٣٥/٨ح ٢٦١٤.

١٩٣ كذا في الأصل وهو تكرار.

١٩٤ في الأصل (وقعه).

١٩٥ و الأصل (مما) وما أثبت يقتضيه السياق.

١٩٦ سورة النساء، آية: ٦٩.

١٩٧ سورة النور، آية: ٥٤.

١٩٨ وقد استدل بذلك الإمام أحمد رحمه الله وغيره من فقهاء الحديث، فلم يوجبوا في الخضروات زكاة، لما في الترك من عمل النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه. راجع: المغني: ١٥٨/٤.

والحديث الذي رواه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الخضروات ٣٠/٣ ح ٦٣٨: أن معاذ رضي الله عنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضروات فقال: "ليس فيها شيء" قال عنه الترمذي: "ليس بصحيح، وليس يصح في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء.. والعمل على هذا عند أهل العلم أن ليس في الخضروات صدقة" استدلالاً بتركه صلى الله عليه وسلم الزكاة فيها.

١٩٩ في الأصل (الدفن) وهو تصحيف، والزفْنُ: اللعب والدفع والرقص. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: ٣٠٥/٢.

٢٠٠ انظر: م: كتاب العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد: ٦٠٩/٢ ح ١٨-٢١.

٢٠١ انظر: خ: كتاب العيدين، باب المشي والركوب إلى العيدين بغير أذان ولا إقامة: ٤٥١/٢ ح٩٥٩-٩٦٠.

م: كتاب العيدين، ٦٠٤/٢ ح٨٨٦-٨٨٧.

٢٠٢ في الأصل (إذ) وهو تصحيف.

٢٠٣ في الأصل (لعرض) وهو تصحيف.

٢٠٤ ذكر ابن الجوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمر فرض للمهاجرين في خمسة آلاف، وللأنصار في أربعة آلاف، وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أثنى عشر ألفا. انظر: تاريخ عمر:

وكالتراويح٢٠٥، وجَمْعِ الناس على مُصحف٢٠٦.

ثم خَلَف قومٌ اعْتَدوا في الجُوع، والسَّهَر، والرَّهْبَانِيَّةِ، وفي المسائل، والسماع، وفي بَذْلِ بُيوت الأموال لمَن شاءوا، ومَنْع المستحق، وتعدّوا في العقوبات، والجور، واحْتَالُوا على الرِّبا، وبالغوا في نفي الصِّفَات، أو في إثْبَاتها، وتَنطّعوا، وزيّدوا٢٠٧، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وقد يَفْعَلُ المُسْلِمُ بعضَ الأمور بنَوْعِ تَأْوِيلٍ فيخطئ، والله يغفر له، وقد يتوبُ، وينقاد للحق، أو له حَسَنَاتٍ مَاحية.

وقد كَثُر المنكر والمُحْدَث، فَلَيْنَهَ٢٠٨ الفقيهُ عَمّا أمْكَنَ من البدع بنِيّةٍ خالصة، وليحذر٢٠٩ الغضبَ، فإن الفُرقة هَلَكَةٌ والجماعة رحمة. ويروى "أنه ما ابتدع قوم بدعة إلاّ رفع منهم من السنة مثلها".

[المشروع في استماع القرآن وأقسام من أعرض عنه]

شَرَعَ الله استماع القرآن، وندبَ إليه، وذَمّ من يُعرضُ عنه. فأعرض قوم عن حقيقته وفَهْمِه الذي يخشع له القلب، ثم صاروا **لونين**:

لوناً٢١٠: فتنوا واقتصروا على ظاهره، وعلى تلاوته أمانيّ كأهل الكتاب.

ولوناً: طلبوا رقّة قلوبهم بسماع غيره كالرُّهبان.

وكُلٌّ من الطائفتين يقول للأخرى: لستم على شيء.

ولا رَيْبَ مع كل منهما نوع من المشروع.

[وقوع التفريط في مسمى السنة والشرع]

وكذا وقع التفريطُ في مُسَمّى السُّنّة، حتى أخرج عنها بعضٌ مسمّاها٢١١ وعُدّ بدعة، وأدخل فيها ما ليس منها بخبر منها قول شاذ.

وكذلك الشرع أدخل في مُسَمّاه أشياء في العبادات، والمعاملات، والأنكحةِ، والعقوبات، وغير ذلك مما فيه اختلاف فصار الشرع عند العَامّي عبارة عَمّا يحكم به قاض وإن كان جاهلا.

أمّا الشّرْعُ المُنَزّل فما ثبت بالكتاب والسُّنّة والإجماع.

وأما الشرع المُبَدّل، كما يصدر من جهة الحُكّام، والوكلاء٢١٢، فالمنزّل واجب، والثاني شائع٢١٣، والثالث منهيٌ عنه.

الطّيّبَات، أحلها الله لنا وحَرّمَ الخبائث.

فأما اليهود فبِظُلْمٍ منهم حرّم الله عليهم طيبات، وحمل عليهم آصاراً كما قال الله تعالى: **{الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيّ}**٢١٤ الآية.

فالمُحَرّمُ خبيث: كالدّم، والميْتَة، وأكْلِ مالٍ بالظُّلم، كالرِّبا، والقِمَار، وأكْل السم، والسِّبَاع، والرَّخَم، وكلّ حيوان خبيث الغِذَاء، إذ الاغتذاء به يورث الطبع بغيا، واعتداء.

وكذا الدّم هو الحامل للاغتذاء به، يورث الطبع بغياً واعتداء، لقوة الشّهوة، والغضب، وكذا الخمر، فالمحرمات تَضرّ المزاجَ والدِّينَ أو أحدهما.

[حد المعروف والمنكر]

وكذا من أكل فوق عادته يتضرر به، **فالمعروف**٢١٥: كل صلاح وعدل وخير، **والمنكر**: كل فساد وبغي وظلم وفحش.

[حد الطيب والخبيث]

والطيب: كل حلال مريٌ هنيٌ، من كسب طيب.

والخبيث: كل حرام وبيٌ نكدٍ مؤذٍ ، من كسب مُحَرّم، قال تعالى:**{قُلْ لا يَسْتَوِي**

١٢١.

٢٠٥ تقدم قول عمر في جمع الناس عليها: "نعمت البدعة".

٢٠٦ حيث جمعهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على مصحف واحد وأمر بتحريق ما سواه.

انظر: المصاحف لابن أبي داود. ص ٢٦-٢٧.

٢٠٧ في الأصل رسمها أقرب إلى (الرا) بدال الدال.

٢٠٨ في الأصل (فليت) وما أثبت يناسب السياق.

٢٠٩ في الأصل: بالتاء.

٢١٠ كذا في الأصل.

٢١١ في الأصل (مسماه) وهو تحريف بيّن.

٢١٢ كذا.

٢١٣ كتبت الكلمة بدون نقط، فتقرأ (شائع) وتقرأ (سائغ).

٢١٤سورة الأعراف، آية: ١٥٧ وتمامها: **{الأُمّيّ الّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلّ لَهُمُ الطّيّبَاتِ وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتّبَعُوا النّورَ الّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (الأعراف: الآية: ١٥٧).

٢١٥ في الأصل (كالمعروف).

الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ٢١٦ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ}٢١٧ وفي الحديث: "الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وما سكت عنه فهو مما عفي"٢١٨.

[سماحة شريعتنا ورفع الآصار والأغلال عن هذه الأمة]

ونبينا صلى الله عليه وسلم بُعث بالحنيفيّةِ السّمْحة، وبوضع الآصار والأغلالِ، وبإباحة طيبات كثيرة حُرمت على أهل الكتابين، فلله الحمد على دين الإسلام الحنيفي، فإنّه يسر، ورفق، ورحمةٌ للعالمين.

فأباح الله لنا الغنائم٢١٩، ولَحْمَ الإبل٢٢٠، ومواكلةَ الحائض٢٢١، وأباح لنا العمل في السّبْت٢٢٢، وأربعاً من الزوجات، وعِدّة من السراري٢٢٣، والعفو عن أثر الغائط٢٢٤، والتطهير بالتراب، والصلاة في الأرض إلا المقبرة والحمام٢٢٥، ولطف بنا في أشياء كثيرة، ووعدنا بإجابة الدعاء٢٢٦، **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا}**٢٢٧.

---

٢١٦ في الأصل (ولا).

٢١٧ سورة المائدة، آية: ١٠٠.

٢١٨ت: كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس الفراء: ٤/ ٢٢٠ ح ١٧٢٦ من حديث سلمان رضي الله عنه، وقال

الترمذي فيه: "وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه".

جه: كتاب الأطعمة، باب أكل الجبن والسمن: ٢/١١١٧ ح ٣٣٦٧ من حديث سلمان بزيادة: (في كتابه) في الموضعين.

وضعفه الشيخ الألباني، فقال: "وخلاصة القول: أن الراجح في هذا الحديث أنه موقوف كما جزم به أمير المؤمنين في الحديث (البخاري)، ولم نجد له طريقاً أخرى قوية نرجح بها المرفوع".. وأشار إلى أن في حديث "ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو..." الذي رواه الحاكم وصححه ٢/ ٣٧٥ وحسنه الألباني في غاية المرام ٥/١٤ ح ٢- ٣ غُنية عن الموقوف إذ هو في معناه.

٢١٩ قال عز وجل:**{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (الأنفال:٦٩)، وقال صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر... وأحلت لي الغنائم". أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" ٣/٥٣٣ح٤٣٨ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

٢٢٠ قال تعالى: **{أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ}** (المائدة: من الآية١).

وقال تعالى: **{وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ}** - إلى قوله- **{قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}** (الأنعام: ١٤٤-١٤٥).

٢٢١ أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب، وأتعرّقُ العَرَق وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ". كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد:١/٢٤٥ح٣٠٠.

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن سعد قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مؤاكلة الحائض؟، فقال:"واكلها". كتاب الطهارة، باب ما جاء في مواكلة الحائض وسؤرها: ١/٢٤٠ح١٣٣.

قال ابن كثير: "ويحل مضاجعتها ومؤاكلتها بلا خلاف". تفسير القرآن العظيم: ٣٧٩/١.

وقد كان اليهود لا يواكلونهن، أخرج مسلم عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي فأنزل الله تعالى:**{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ}(البقرة:الآية:٢٢٢)** آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كل شيء إلاّ النكاح" ١/٢٤٦ح٣٠٢كتاب الحيض.

٢٢٢ وقد كان محرماً على اليهود العمل في يوم الست، وقد مسخ الله جماعة منهم عملوا فيه قال تعالى:**{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (البقرة:٦٥)** وكان من يعمل فيه يقتل عندهم، وقد جئ إلى موسى برجل وجد يحتطب في يوم السبت فأمر بقتله، كما جاء في سفر العدد: الإصحاح ١٥ فقرة (٣٣-٣٦).

٢٢٣ فقال الله عز جل: **{فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ} (النساء: الآية:٣).**

٢٢٤ وقد كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم البول قرض موضعه، كما في حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم "كانوا- أي بني إسرائيل- إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم.." أخرجه: الإمام أحمد في المسند ٤/١٩٦.وأبو داود في السنن، باب الاستبراء من البول ١/٢٦. وهو في مسلم من كلام أبي موسى، طهارة رقم ٧٤.

أما هذه الأمة فقد خفف الله عنها، فيكتفي بغسل موضع البول كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم. راجع كتاب الطهارة في الصحاح والسنن، وانظر مثلا سنن أبي داود ١/١٧١ح٢٤٧ .

٢٢٥ قال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المتقدم: "...وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً".

٢٢٦ فقال عز وجل:**{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** (غافر: الآية:٦٠).

٢٢٧ سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

وشرع لنا نبينا كُل عبادة تقربنا إلى الله، وعلّمنا ما الإيمان، وما التوحيد، وتَركنا على البيضاء ليلها كنهارها، فأيُّ حاجةٍ بنا إلى البدع في الأقوال، والأعمال، والأحوال، والمحدثات.

ففي السنة٢٢٨ كفاية وبركة، فيا ليتنا نَنْهَضُ ببعضها علماً وعملاً، وديانة، ومعتقداً.

[تفاوت البدع في الشر والخبث]

فَشَرُّ البدع وأخبثُها ما أخرجَ صاحِبَها من الإسلام، وأوجبَ له الخلود في النّار، كالنّصيْرية٢٢٩، والباطِنِيّة٢٣٠، ومن ادّعى٢٣١ نُبوّةَ عَليٍّ، ثم بعدهم غلاة الرافضة٢٣٢، وغلاة الجهمية٢٣٣، والخوارج٢٣٤، وهؤلاء مُتَرَدِّدٌ في كفرهم. وكذا مَنْ صرّح بخلق القرآن، أو جَسّم، أو جحد الصفات، أو شَبّه الله بخلقه.

ثم دونهم: القدرية٢٣٥، ودعاة المعتزلة٢٣٦، ومَنْ ينقص٢٣٧ بأبي بكر وعمر٢٣٨، ثم من

---

٢٢٨ في الأصل: (الستر) وهو تحريف بيِّن.

٢٢٩ في الأصل:(المصرية) وهو تصحيف، وسميت نصرية نسبة إلى مؤسسها: أبي شعيب محمد بن نصير النميري (ت٢٧٠هـ)، ويقال لهم "النميرية" أيضا، وهي فرقة باطنية غالية، يقول اتباعها بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأحلّوا كثيراً من المحرمات.

انظر في شأنها: الأشعري: المقالات: ٨٦/١، باسم"النميرية"، والبغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٥٢، والشهرستاني: الملل والنحل: ١٨٨/١، والسكسكي: البرهان: ٦٧، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٥١١، وانظر: أحمد محمد جلي: دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين: ص ٢٤٣، ط: الأولى، فقد ذكر كلاماً عن أصل هذه الطائفة، وعقائدها، غير أنه في الطبعة الثانية للكتاب أضاف مبحثاً جديداً تحت عنوان"النصيرية والشيعة الإمامية من ص و(٣٢٥-٣٣٠)"، ذكر فيه اجتماع وفد علماء شيعة إيران بعلماء النصيرية، وإصدارهم بيانا تضمن أن العلويين- شيعة، وأن"العلويين" و"الشيعة" كلمتان مترادفان مثل "الإمامية" و"الجعفرية" وأن مذهبهم هو المذهب الجعفري.

ثم علق المؤلف على ذلك بقوله:"ولا شك أن هذه خطوة طيبة ينبغي الإشادة بها في سبيل تصحيح عقائد النصيرية من دائرة الغلو الخرافية الفاسدة التي كانوا يعتقدونها".

مع أن المؤلف نفسه أثبت في الطبعة الأولى غلو"الإمامية" المتقدمين منهم والمعاصرين، في أئمتهم وأن لهم مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما أثبت غلو الإمامية في الحط على الصحابة وتكفيرهم.

فهل يصح بعد ذلك أن يشيد بانتقال النصيرية أو بعضهم إلى عقائد الإمامية، ويعدُّ ذلك خطوة في طريق تصحيح عقائد النصيرية، وهل هذا منهم إلا انتقال من غلو مقيت إلى غلو مثله، أو هو إضافة غلو إلى ما عندهم من الغلو.

وينبغي أن يتنبه إلى أن للمؤلف في هذه الطبعة الثانية إضافات في مواضع أخرى على ما في الطبعة الأولى، زلّ فيها قدمه - عفا الله عنا وعنه -، فندّها فضيلة شيخنا الدكتور علي بن محمد بن ناصر فقيهي في الدراسة التي أعدّها فضيلته عن طبعتي الكتاب وما وقع فيه المؤلف من مجانبة للحق فيما زاده في الطبعة الثانية في مواضع، نشرت هذه الدراسة في العدد (١٠١-١٠٢)من مجلة الإسلامية سنة ١٤١٤-١٤١٥.

٢٣٠ الباطنية: لقب اصطلاحي تندرج تحته اتجاهات لطوائف وفرق مختلفة، القاسم المشترك فيما بينها، أو الصفة العامة التي تجمعها: تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن.

قال الغزالي:" إنما لقّبوا بالباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللّب من القشر، وذكر لهم ألقاب أخرى.

انظر في شأنها: البغدادي: الفرق بين الفرق: ١٨١، والشهرستاني: الملل والنحل: ١٩٢/١، والغزالي: فضائح الباطنية: ١١، واليافعي: ذكر مذاهب الفرق اثنتين وسبعين: ٨٩، والاسفرائيني: التبصير في الدين:١٤٠، وصابر طعيمه: دراسات في الفرق: ٧٥.

٢٣١ في الأصل: "الدعى"وهو خطأ.

٢٣٢ تقدم التعريف بهم: (١٠٣) وفي الأصل (الرفضة).

٢٣٣ تقدم التعريف بهم: (١٠٤).

٢٣٤ تقدم التعريف بهم ص: (١٠١).

٢٣٥ وهم القائلون بنفي القدر وأن الله لم يقدر أفعال العباد ولم يخلقها، وتقدم أن روّادَ هذا القول هم: سنسويه، ومعبد الجهني، وغيلان الدمشقي، ثم تبنّاه المعتزلة ولُقِبوا بالقدرية لذلك. انظر ص (١٠٤).

٢٣٦ المعتزلة: سمّوا بذلك نسبة إلى الاعتزال وهو: الاجتناب، وسبب تسْميتهم بذلك أن مقدمهم واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ) لما أحدث القول بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وأنه في منزلة بين المنزلتين، اعتزل مجلس شيخه الحسن البصري (١١٠هـ) وأخذ يقرر مذهبه هذا ويدعو إليه، فسمّي هو ومن اعتزل معه بالمعتزلة انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ٤٨/١. وزهدي جار الله، المعتزلة: ص ٢.

٢٣٧ كذا بالياء.

٢٣٨ وممن يتنقّص منهم الرافضة، فلهم فيهما أقوال شائنة أدناها تأخيرهما عن مرتبتهما، وأعلاها القول بتكفيرهما وبذلك تغلظت بدعتهم.

تنقّص بعثمان، وعلي، وعمّار، وعائشة رضي الله عنهم٢٣٩.

ثم دونهم الشيعة الذين يُحبّون الشيخين، ويُفَضّلون علياً عليهما٢٤٠، والزيدية٢٤١.

فبدع العقائد تَتَنَوّع أعاذك الله وإيّانا منها.

وخلائق من كبار العلماء رحمة الله عليهم بَدّعَ بعضُهم بعضاً، من الشافعية، والحنفية، والحنابلة، وأهل الأثر، وأهل الكلام، ومثبتةِ الصفات القرآنية لا الخبرية٢٤٢، ومثبتةِ السبع٢٤٣ دون غيرها، ومثبتةِ ما ثبت من٢٤٤ الأخبار دون ما حَسّن، على اختلاف آرائهم، ومبالغة بعضهم في التنزيه، والتأويل، أو مبالغة بعضهم في الإقرار والإمرار، وذَمّ التأويل، فبَيْنَ هؤلاء نزاع، وخلاف شديد مع إيمانهم الكل٢٤٥ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث، والقدر، والانقياد٢٤٦ للكتاب، والصحاح، والإجماع، وتعظيم الرّب، وإجلاله، ومراقبته، والانقيّاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والخضوع له، والمحافظة على الفرائض، والطهارة، والابتهال إلى الله في الهدى والتوفيق، مع الذكاء والعلم.

وبعضهم يتعجّب من بعض كيف خالف في تأويل٢٤٧ الصفات، كما يتعَجّبُ الآخر منه ومن سعة علومه كيف جمد على إثباتها وأقَرّهَا. وبعضهم يتعْجّبُ مِنْ هؤلاء ومِن هؤلاء كيف لم يسكتوا كما سكت الجمهور، وفوّضوا ذلك إلى الله ورسوله، حتى إن التلميذَ يتعجّب من شيخه، والمفضولَ منهم مِنَ الأفضل، ونحن نرجو للجميع العفو والمغفرة، ويعد خطأهم٢٤٨ مع بذل الوسع، وحسن النية في الأصول والفروع شيئاً واحداً٢٤٩، أعني أرباب هذا النوع، الذين لا مَحِيْدَ لهم عن الكتاب والسنّة.

[بدع العبادات والعادات]

وأمّا بدَعُ العبادات، والعادات، فخطبها يسير، وكتلاوة٢٥٠ جماعة بتطريب٢٥١،

---

٢٣٩ وهم الخوارج انظر: السجزي، الرد على من أنكر الحرف والصوت: ص ٢١٨.

٢٤٠ وهؤلاء هم المفضلة إحدى **طواف الشيعة** قال. شيخ الإسلام ابن تيمية: عن شيعة علي: "كانوا **ثلاث طوائف**:

طائفة: غلت فيه كالتي ادّعت فيه الألوهية، وهؤلاء حرّقهم بالنار.

وطائفة: كانت تسبّ أبا بكر، وكان رأسهم عبد الله بن سبأ، فلما بلغ عليا ذلك طلب قتله فهرب.

وطائفة كانت تفضّله على أبي بكر وعمر، قال - أي علي رضي الله عنه -: "لا يبلغني عن أحد منكم أنه فضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفتري". الفتاوى: ٤٠٧/٤.

٢٤١ الزيدية: إحدى فرق الشيعة. قال الأشعري: "وإنما سمُّوا"زيدية" لتمسكهم بقول"زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ..... وكذا زيد بن علي يُفضّل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور". المقالات: ١٣٦/١.

٢٤٢ وهؤلاء هم أكثر متقدمي المتكلمين من الأشاعرة، يثبتون الصفات السمعية القرآنية كالوجه واليد،.. وأما ما لا يرد إلا في الحديث فأكثرهم - أي المتقدمين- لا يثبتها، وأما متأخروهم فأكثرهم يتأوّل جميع الصفات الخبرية، القرآنية منها والحديثية.

انظر:. ابن تيمية، الفتاوى: ٣٢/١٢. وعبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ص ١٢٢٤، ط: الأولى ١٤١٥هـ، نشر مكتبة الرشد.

٢٤٣ في الأصل (السبعة) والمراد بها: الصفات السبع التي يثبتها جميع الأشاعرة وهي: (العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة) أثبتوها لأن العقل دل عليها، ثم إنهم لما وجدوا السمع وافق العقل في هذا احتجوا به، وهذا خلاف منهج السلف الصالح -رحمهم الله- الذي يقوم على الإقرار بما ورد في الكتاب والسنة وإن لم نعلمه بعقولنا. انظر: عبد الرحمن المحمود، المصدر السابق: ص ١٠٤٩، ١٠٥١. وراجع: ابن تيمية، شرح الأصفهانية: ص١٢، تقديم: مخلوف.

٢٤٤ في الأصل (من) مكررة.

٢٤٥ كذا في الأصل ولعل الجملة مضطربة، ولعل صحتها (إيمان الكل).

٢٤٦ في الأصل: الدال ساقطة.

٢٤٧ في الأصل (التأويل).

٢٤٨ كذا في الأصل ولعل الصواب (خطؤهم) أو لعل الكلمة التي قبلها (ونعدٌّ) بالنون.

٢٤٩ أي : إنه من باب الاجتهاد الذي يؤجر صاحبه مع خطئه فيه، لاجتهاده وحسن نيته في طلب الحق. فهذا يعذر ويؤجر، ولكن من تبين له من أتباع هؤلاء مذهب السلف ومنهجهم في إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات، وجب عليه اتباعه، ولا عذر له في اتباع أئمته على اجتهادهم بعد تبين خطئهم، وثبوت رجوع أكثرهم عند موتهم وفي آخر حياتهم.

٢٥٠ كذا بالعطف في الأصل، ولعل الواو زائدة.

٢٥١ في القراءة بالتطريب قولان:

أحدهما: المنع والكراهة.

والثاني: الجواز.

فقد روي منع ذلك وكراهته عن بعض أئمة السلف، كأنس بن مالك رضي الله عنهما، والإمام أحمد والإمام مالك، وسعيد بن المسيب وغيرهم.

وأذانهم٢٥٢، وصلاة النصف٢٥٣، والحلاوة فيه، وأمثال ذلك من الشعارات، والهيئات، والنِّيّات، والحوادث وأشباه ذلك، ولكنّ الخير كله في الإتّباع واجتماع الكلمة.

[مشابهة أهل الذمة في أعيادهم وحكم ذلك]

أما مشابهة الذِّمة في الميلاد٢٥٤، والخميس٢٥٥، والنيروز٢٥٦، فبدعة وحشة.

فإن فَعلها المسلم تديُّناً فجاهل، يزجر ويُعلّم، وإن فعلها حُبّاً [لأهل الذِّمة]٢٥٧ وابتهاجاً بأعيادهم فمذموم أيضاً، وإنْ فعلها عادةً ولعباً، وإرضاءً لعياله، وجبراً لأطفاله فهذا محل نظر، وإنما الأعمال بالنيّات، والجاهل يُعذر ويبين له برفق، والله أعلم.

وكتبت هذه النسخة من خط مؤلّفها الحافظ الذهبي وقوبلت على خطّه.

وروي الجواز عن عمر وابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، والإمام أبي حنيفة وأصحابه.

ذكر القولين الإمام ابن القيم، وذكر أدلة كل قول، ثم ذكر أن فصل النزاع في المسألة: أن **التطريب على وجهين:**

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة من غير تكلف ولا تمرين، فذلك جائز حتى وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين كمال قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: "ولو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيرا".

قال: وهذا الذي كان السلف يفعلونه، ويستمعونه، وهو التغنّي الممدوح، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها .- أي أدلة المجيزين -.

والوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلاّ بتكلف وتصنّع وتمرّن، كما تتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلف، وعابوها،وذمّوها، ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها، وأدلة أرباب هذا القول - أي المانعين- إنما تتناول هذا الوجه". انظر: زاد المعاد: ٤٨٤/١-٤٩٣.

٢٥٢ التطريب في الأذان: هو التغني به بحيث يؤدي إلى تغيير كلماته وكيفياتها، ونقص بعض حروفه، أو زيادة فيها محافظة على توقيع الألحان. فهذا - بدعة - لا يحلّ إجماعاً.

والأذان الجماعي: هو المعروف بالأذان السلطاني، وأول من أحدثه هشام بن عبد الملك، ولا خلاف في أنه مذموم مكروه لما فيه من التلحين والتغني وإخراج كلمات الأذان عن أوضاعها العربية وكيفياتها الشرعية. انظر: علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع: ص ١٧٦.

٢٥٣ لعل مراد المؤلف: صلاة النصف من الشعبان.

وهي من البدع التي أحدثت، وقد رويت أحاديث في فضل هذه الصلاة كلها موضوعة. انظر: ابن الجوزي، الموضوعات: ١٢٧/٢. وراجع عن هذه البدعة: الطرطوشي، الحوادث والبدع: ٢٦١-٢٦٧. ورسالة "التحذير من البدع" لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: ص ١١-١٦.

٢٥٤ المراد به: اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله عيسى بن مريم عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام. انظر: المقريزي، الخطط: ١/ ٤٩٤.

٢٥٥ "الخميس ": عيد من أعياد النصارى، ويسمونه الخميس الكبير، وذلك أن الأسبوع الذي يقع في آخر صوم النصارى يسمون خميسه الخميس الكبير، ويسمى: خميس البيض، لأنهم يصنعون لأولادهم فيه البيض ويصبغونه، لأنهم فيه يأكلون ما يخرج من الحيوان من لحم ولبن وبيض، إذ صومهم هو عن الحيوان وما يخرج منه، وإنما يأكلون في صومهم الحب وما يصنع منه.

ويزعمون أن في مثله نزلت المائدة على عيسى عليه السلام، فهو يوم عيد المائدة. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٤٧٨/١-٤٨٠.

وللمؤلف رحمه الله رسالة في هذا اليوم وإنكار تشبه المسلمين بالنصارى فيه سماها "تشبه الخسيس بأهل الخميس " طُبعت بتحقيق: علي حسن عبد الحميد، نشرتها دار عمار في الأردن عام ١٤٠٨ هـ.

٢٥٦ النيروز: بفتح النون: كلمة فارسيةَ معَربة، وأصلها في الفارسية " نوروز" وهي لفظة مركبة من كلمتين: أولاهما " نو" بفتح النون وضمها، ومعناها الجديد، وثانيهما " روز" وتفسيرها: اليوم، فمعناها: اليوم الجديد.

وهو عيد من أعياد الفرس، ويُعد أعْظم أعيادهم، ويقال: إنّ أول من اتخذه " جمشيد " أحد ملوك الفرس الأول، ويقال فيهْ "جمشاد ".

والنيروز: أول أيام السنة الفارسية، ويستمر خمسة أيام بعده.

ويحتفل أقباط مصر بالنيروز، وهو أول سنتهم، وهو المعروف بعيد شم النسيم.

قال المؤلف رحمه الله في رسالة "تشبه الخسيس بأهل الخميس" ص ٤٦: "فأما النيروز، فإن أهل مصر يبالغون في عمله، و يحتفلون به، وهو أول يوم من سنة القبط، ويتخذون ذلك عيداً، يتشبه بهم المسلمون وهو أول فصل الخريف".

راجع عن هذا اليوم: الخطط للمقريزي: ٤٩٤/١. والأزمنة والأمكنة، للمرزوقي: ٢٨٨/٢. ومقدمة عبد السلام هراس لكتاب النيروز لأبى الحسين أحمد بن فارس، ضمن كتاب: نوادر المخطوطات: ٤/٢ وما بعدها.

٢٥٧ في الأصل العبارة هكذا: (حبّا لله ذمه...).